الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

التعالي بالسياسي في الغرب الإسلامي على عصر الموحدين

كتاب وشعراء تحت الطلب

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبة:

مروة سراي

إشراف الأستاذ:

لخضر بولطيف

السّنة الجامعيّة: 1439-1440هـ/2018-2019م

الإهـــــــــداء:

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى القامات العلمية التي كانت لنا بمثابة

المعالم الهادية والمنارات المرشدة

على درب مسيرتنا العلمية

إلى باحثي المستقبل ومؤرخيه

طلبة العلم وحاملي راياته

الشكـــر والعـــرفان:

أقدم أسمى عبارات الود والامتنان

إلى عائلتي الكريمة التي وقفت إلى جانبي

في جميع مراحل حياتي؛ وكانت لي نعم السند

ونعم الظهير..

وأخص بشكري وعرفاني شيخي ومشرفي:

الأستاذ "لخضر بولطيف"، الذي كان نعم الهادي

ونعم المرشد لي في مسيرة البحث؛

من أول خطوة إلى آخر خطوة..

دون أن أنسى أصدقائي الذين لطالما قدموا لي

شتى أشكال الدعم والتشجيع..

المقدمـــــــة

إن الاستبداد السياسي هو نعت للسلطة المطلقة العنان قولا أو حكما، والتي تتصرف في شؤون الرّعية كما تشاء، بلا خشية حسيب أو رقيب، إذ أنّ طبيعة الاستبداد تبعث على التطلع إلى درجة منازعة الله تعالى في كبريائه وعليائه؛ فالمستبد يتحكم في حياة الرعية؛ من استلامه مقاليد السلطة وحتى مغادرته المشهد السياسي، إذ يضع نفسه موضع من لا يُسأل ولا يُحاسب، فهو فوق القوانين والكل تحت أمره، كل الرعية بكل طبقاتهم تحت سيادته وملكه، لا يملكون قرارا إلاّ ما أذن به، ولا يرون رأيا غير رأيه، ولا يشاؤون دون مشيئته.

ولما كان الاستبداد ينشد تكريس الطاعة، والتأسيس لأخلاق الخضوع، فإنّ المستبد لم يدخر فكرة أو وسيلة تشيد بنيانه، وترصّ صفوفه، إلاّ وأولاها العناية، وفتح لها الخزائن، وأغدق عليها بالأموال. ومن جملة الأدوات التي وظفها المستبد في سبيل تحقيق هدفه؛ هو الخطاب الدعائي الإعلامي والمتمثل في الإنتاج الأدبي لفئة الكتّاب والشعراء، ومن هذا المنطلق تتأسس إشكاليتنا، والتي مرادها: الكشف عن تجليات وآليات التعالي بالسياسي في أدبيات الغرب الإسلامي، وما بلغه انخراط الشعراء والكتّاب الذين هم بمثابة لسان السلطة الحاكمة، من تبرير وتسويغ للقرار والفعل السياسيين، تحت غطاء إضفاء قداسة المتعالي الديني على التاريخي السياسي، ما يجعله بمنأى عن كل تعقب أو مراجعة.

ولما كان من غير المتاح معالجة إشكاليتنا على مدار كامل التاريخ الوسيط للغرب الإسلامي، فقد آثرنا قصرها على حقبة نموذجية محددة، وهي حقبة العصر الموحدي؛ أي ما يوازي القرنين 06 و07هـ/12 و13م.

ولقد جاء اختيارنا لموضوع: "**التعالي بالسياسي في الغرب الإسلامي على عهد الموحدين.. كتاب وشعراء تحت الطلب**"، لأسباب موضوعية وذاتية:

تتمثل الأسباب الموضوعية في قلة الإقبال لدى الباحثين المعاصرين على استثمار المدونة الأدبية في الغرب الإسلامي، في سياق أبحاثهم التاريخية؛ خاصة ما تعلق منها بالتاريخ السياسي.

أمّا الأسباب الذاتية فتتمثل في فضول التعرف على هذا الجانب الخفي من التداخل بين الأدبي والسياسي في تراثنا، إضافة إلى ميولنا للدراسات الأدبية؛ خاصة ما تعلق بالشعر.

وفيما إذا كان الموضوع محل اعتناء في دراسات سابقة، فيسعنا أن نذكر على سبيل المثال: **تفكيك الاستبداد** لمحمد العبد الكريم، و**في تشريح أصول الاستبداد** لكمال عبد اللطيف، و**خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية** لإبراهيم القادري بوتشيش، وغيرها من الدراسات التي تلتقي في مقاربة مادة كتب الآداب السلطانية، في حين ينصب موضوعنا على مادة أدبية بالأساس، لكنها ذات ملمح سياسي.

ولئن استدعت طبيعة البحث اتباع المنهج التاريخي، فإننا قد وظفنا اثنتين من آلياته بالأساس:

الأولى: آلية الاستقراء، حيث كان من المتعين علينا تتبع النصوص الشعرية والنثرية السياسية العائدة إلى العهد الموحدي في مختلف المظان الممكنة؛ سواء كانت دواوين شعرية أو مجاميع نثرية.

الثانية: آلية الوصف، من حيث الوقوف على مناسبات النصوص، ومحاولة الوقوف على مغازيها ومقاصدها، توصلا إلى استخلاص القضايا ذات الصلة بموضوع البحث وتصنيفها.

هذا، وقد تأدّت معالجة مادة البحث إلى توزيعها على ثلاثة فصول، فضلا عن فصل تمهيدي:

ففيما حصرنا في الفصل التمهيدي شتى القضايا المتعلقة بالتأسيس لأخلاق الخضوع في تجربة الحكم الإسلامي.

فقد خصصنا الفصل الأول للتعالي بالسياسي في صورة توشية الذات السلطانية بالسمات الرفيعة؛ من قبيل الحسن والبهاء، والشجاعة والإقدام، والكرم والجود، وغيرها مما يستحب من الأخلاق والفضائل.

بينما في الفصل الثاني ترقينا من حالة التعالي بالسياسي في صورة توشية الذات السلطانية بالسمات الرفيعة إلى حالة استعارة الصفات النبوية للذات السلطانية؛ كالإمامة، والعصمة، وما إلى ذلك مما يندرج ضمن إعادة إنتاج زمن النبوة.

أما الفصل الثالث، فكان مناسبة لتناول التعالي بالسياسي في أقصى حالاته وتجلياته؛ وهي المماثلة بين الذات السلطانية والذات الإلهية؛ من قبيل وصف السلطان بالعليم الحكيم، أو الرزاق الوهاب، أو الغفور الرحيم...

كان معتمدنا في إنجاز هذه الدراسة مجموعة من المصادر، من أهمها:

– ديوان أبي العباس الجراوي (ت 609هـ/1212م)، والذي يشتمل على طائفة هامة من غرر القصائد التي نظمها الجراوي في مدح السلاطين الموحدين الأوائل. وقد أفادنا هذا الكتاب بشكل كبير في اكتشاف واستخلاص أهم القضايا التي تدخل في صميم إشكاليتنا، وخاصة على خلفية ما عرف عن الشاعر من مبالغة في ترفيع مكانة الخلفاء الموحدين، وما كان يضفيه عليهم من أوصاف الجلالة والقداسة، نظير ما كان يحظى به لديهم من تقريب وتكريم.

– كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة (حي سنة 594هـ/1198م)، هذا المستند المصدري الهام، والذي يغطي فترة هامة من تاريخ الموحدين (من سنة 554هـ إلى سنة 568هـ)، لكن ما يعنينا أكثر في هذا الكتاب هو ما تضمنه من مادة شعرية، وأكثرها أهمية هو ما تعلق بقصائد الشاعر ابن حربون الشلبي (ت 570هـ/ 1174م)، فقد ورد له حوالي 540 بيتا، وقد أفادنا هذا الكتاب في استخراج الأبيات المتعلقة بشعر المديح السياسي للسلاطين الموحدين، إذ شكّلت المادة الشعرية لابن حربون نسبة كبيرة من المادة المستخدمة في البحث ككل.

أما بالنسبة للنثر السياسي، فتحظى مجموعة رسائل موحدية، بتحقيق ليفي بروفنسال، بأهمية معتبرة، حيث أنها تتضمن بين دفتيها مجموعة من رسائل البلاط الموحدي، من إنشاء كتّاب الدولة المؤمنية، وقد أفادتنا هذه المجموعة في التعرف على نظرة كتّاب البلاط الموحدي للسلاطين الموحدين، وذلك من خلال استقراء مقدمات هذه الرسائل.

إلى ذلك، كانت الحاجة قائمة إلى توظيف عدد من المراجع؛ على غرار: تفكيك الاستبداد –دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب– لمحمد العبد الكريم، إضافة إلى الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي لمحمد الجويلي، وقد أفادنا هذان المرجعان في معالجة قضايا المدخل التمهيدي، والمتعلقة أساسا بالاستبداد السياسي، والتأسيس لأخلاق الخضوع في تجربة الحكم الإسلامي.

أما الصّعاب التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث، فكان في مقدمها توزّع النتاج الشعري السياسي الموحدي بين كتب الحوليات التاريخية، والتراجم الشخصية، والمدونات الأدبية، العائدة إلى القرنين 06 و07هـ/12 و13م، وهو ما ليس متوفرا على نطاق واسع في مكتباتنا، فضلا عن الطابع الرمزي للمادة الشعرية، والذي كثيرا ما وضعنا أمام تحدي التأويل.

وفي الأخير لا يسعنا سوى أن نجدد خالص الشكر والعرفان لأستاذنا المشرف، تقديرا لجهوده الجبارة، وتوجيهاته النيّرة، وتذليله لمختلف الصعاب التي واجهتنا، وقد تابع سير البحث من أول مرحلة إلى آخر مرحلة.

الفصل التمهيدي:

التعالي بالسياسي والتأسيس لأخلاق الخضوع

في تجربة الحكم الإسلامي

لقد حلم المجتمع الإسلامي بالزعيم الفاضل الطاهر من كل دنس دنيوي، وإذا كان إبداع مثل هذا الزعيم لا يمكن أن يكون إلاّ في الحلم، وليس في يقظة الواقع التاريخي، فإن المخيال الإسلامي ظلّ، وإلى حد يومنا هذا، ينشده، ويبحث لاهثا عنه[1]، وفي هذا يحتاج الخطاب الأيديولوجي السنّي والشيعي على حد السواء، إلى تبرير السيطرة السياسية للدولة عبر تقديس الزعيم التاريخي، مستعملا الحجج الدينية، والأحاديث النبوية التي من شأنها أن تدعم مقاصده، وتصنع اللغة وأساليبها البلاغية البيانية قداسة الزعيم[2]، ومن هذا المنطلق فقد حرص النص الأدبي بدوره كذلك وعلى مرّ فترات الحكم الإسلامي؛ على ترسيخ مجموعة من القيم والمفاهيم حول الحاكم، وسعى جاهدا إلى رفع هذا الحاكم إلى الصورة المتعالية في مخيال رعيته[3].

إذ نجد كتّاب هذه النصوص الأدبية، قد بذلوا كل جهد ممكن، في تأويل بعض المفاهيم كالعدل والطاعة والخضوع وقبول الاستبداد، فنجد هؤلاء الكتّاب يحرصون على ترسيخ مفهوم طاعة الحاكم، والامتثال لأمره[4]، وقاموا بتأويل هذا المفهوم، وسخّروا له فيضا من النصوص والمتون الإسلامية والأقوال والأشعار، وكرّسوا مجموعة من الصور، التي تشبّه السلطان بالرأس والروح والبحر ومنبع النهر

[1] محمد الجويلي، الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس، دار سراس للنشر، تونس، 1992م، ص168.

[2] المرجع نفسه، ص140.

[3] كمال عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد –قراءة في نظام الآداب السلطانية–، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1999م، ص153.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014م، ص50–51.

والرياح[1]، وغيرها من الإيحاءات الرمزية، وذلك بهدف إقامة الحجة، بأنّ طاعة السلطان هي جزء من ناموس الكون، وقبس من قوانين الطبيعة وسننها الضرورية، التي تفرض التسليم والامتثال، حتى أنهم منحوها مرتبة الأمر بالوجوب، وجعلوها قيمة متألقة تعكس روح الصلاح في الرعية[2].

ويكتسي الأمر بالوجوب في هذا المقام مرجعية دينية، تكون خطا أحمرا لا يمكن تجاوزه، وذلك من منطلق أنّ عصيان السلطان هو هدم لركن من أركان الدين، لا بل أصبح هذا العصيان في مخيال كتّاب الآداب السلطانية هو باب من أبواب طاعة الشيطان، والخروج من رحمة الله عزّ وجل، " فمن عصى السلطان، فقد أطاع الشيطان"، ما يعني تقيد حرية الفرد وحرمانه من حقه في نقد ومعارضة سياسة الحاكم التي تصبح من المحرمات، وتنتقل معه العدالة من مجال الفعل البشري إلى فضاء المقدس الديني[3]، ونجد أن ابن رضوان والطرطوشي والغزالي، وغيرهم من فحول كتّاب الآداب السلطانية قد انتصروا لمقولة" الطاعة المطلقة للسلطان، أعادلا كان أم جائر"[4]، ولنا فيما كتبه الغزالي خير دليل على حرص هؤلاء الكتّاب على التأكيد على وجوب طاعة السلطان، وأن هذه الطاعة تتصف بخاصية الأمر بالوجوب.

واللافت أن موضوع طاعة الحاكم كان الموضوع الأكثر ظهورا في إنتاجات كتّاب الآداب السلطانية[5]، إذ يلاحظ أنّهم قد أنتجوا خطابا مزدوجا يبرر الاستبداد

---

[1] المرجع نفسه، ص54.

[2] محمد العبد الكريم، تفكيك الاستبداد –دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب–، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2013م، ص191–192.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة، ص50.

[4] محمد العبد الكريم، تفكيك الاستبداد، ص152

[5] إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة، ص51.

بالحزم وعدم التهاون مع كل ما يسبب خللا في مجتمع أو يحدث فتنة، لكن بما أن العدل والاستبداد لا يمكن الجمع بينهما كالماء والنار[1]، فإن هؤلاء الكتّاب قد أعطوا الحاكم وصفة تجمع بين المتناقضين، وتحقق العدالة السلطانية بواسطة آلية التخويف والترويع (البطش والعقاب)، وآلية الملاطفة والاستقطاب (التودد والإحسان) في الوقت ذاته، وهما آليتان متكاملتان، والتي يمكن تلخيصها في تعبير موجز بأن فضيلة الملك" رحمة تشمل الرعية ويقظة تحوطهم".

فقد حاولت الكتب السلطانية أن ترسخ مبدأ الحاكم المستبد العادل وأن تبرر بأنه يتميز بمسؤولية جسيمة، تتضمن حراسة الدين والدفاع عن رعيته وحماية ثغورها، وعصم الدولة من كل شر، الأمر الذي يستلزم وجود سلطان قوي وحازم[2]، ووظفت في ذلك بعض النصوص الدينية المدعمة لتوسيع سلطات الحاكم، والتمست منه في الوقت ذاته أن يكون عادلا رحيما متوددا إلى رعيته[3].

لقد ساهمت صورة السلطان المتميز من سائر البشر والمتفرد في سلوكه وتصرفاته في كسر قاعدة العدالة والمساواة، وجعله بمنأى عن أي نقد أو مساءلة لأنه ليس كالبشر، وأتاحت له هذه الصورة في الوقت ذاته سلطة مطلقة لا يمكن أن يشاركه فيها أحد ما دام متميزا من سائر فئات المجتمع.

الزعامة السياسية من خلال المخيال العربي الإسلامي لوسيط، هو أنّ الآليات التي تحرك المسلمين في تصوراتهم لعلاقة الحاكم بالمحكوم تظلّ واحدة، مهما اختلفت انتماءاتهم المذهبية... فهناك راعي وهو الحاكم وهناك مطيع وهو الرعية[4]،

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة، ص52.

[2] محمد العبد الكريم، تفكيك الاستبداد، ص193.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة، ص50.

[4] محمد الجويلي، الزعيم السياسي، ص78.

وفي مقابل تعالي الراعي فإن الرعية يجب أن تطيع، وذلك من منطلق أن طاعة الحاكم هي طاعة لله عزّ وجلّ، وكل إخلال بطاعة الراعي، ليس في الحقيقة إلاّ إخلالا بطاعة الله.

ومن هذا المنطلق يتحول الزعيم إلى كائن يمتلك الحقيقة المطلقة، والحكمة الخالصة، معصوم من خطأ والزلل، ولا يمكن أن تصدر عنه إلاّ الفضيلة.

إلى جانب تميز السلطان تساهم كتب الآداب السلطانية في تلميع صورته وجعله بمنأى عن أي محاسبة قانونية أو مسؤولية وذلك عن طريق الترويج لمقولة أن الله اختاره ليخلفه في الأرض ليكون بذلك خليفة الله في الأرض، وهو ما يعبر عنه بنظرية التفويض الإلهي[1]، التي أجمع عليها كتّاب الآداب السلطانية، ومن جملة ما يقوله هؤلاء الكتّاب هو أنّ السلطان ظلّ الله في الأرض، وأنّ الله جعل الملوك خلفاء في بلاده وأمناء على عباده ومنفذي أحكامه في خليفته، ويستندون في التأكيد على هذا القول مقولة تاريخية مفادها أنّ الأمم القديمة خصوصا العرب كانت تسمي الملوك "أرباب الأرض"[2].

ولقد استطاع النص السلطاني من هذا المنظور رفع الحاكم إلى الصورة المتعالية في المخيال الاجتماعي، ونجح في تأسيس مطابقة بين الذات الإلهية بقداستها والوضع السلطاني بجميع الملابسات التاريخية التي أفرزته لفرض قبوله على المجتمع كواقع، واستعمل حيزا كبيرا من الإرث الديني لترسيخ هذه الصورة[3].

تعتبر كتب الآداب السلطانية بكل ما تحتويه من نصائح للحاكم وبكل ما ترسمه من صور أسطورية حول الحاكم المثالي؛ بمثابة إدلاءات ونصوص تدخل ضمن

[1] محمد الجويلي، الزعيم السياسي، ص48.

[2] كمال عبد اللطيف، في تشريح أصول الاستبداد، ص157.

[3] المرجع نفسه، ص153.

الإطار النظري لفكرة التأسيس لأخلاق الخضوع وقبول الاستبداد، وبحثنا هذا هو محاولة للتعرف على الإطار التطبيقي لهذه الفكرة وذلك من خلال إدلاءات الخطاب الدعائي الإعلامي الذي يمثله الكتّاب والشعراء بما نسجوه من نصوص وقصائد.

الفصل الأول:

التعالي بالسياسي

في صورة توشية الذات السلطانية بالسجايا الرفيعة

أولا: الحسن والبهاء

ثانيا: الصدق والإخلاص

ثالثا: الكرم والجود

رابعا: الشجاعة والإقدام

خامسا: العدل والإنصاف

لقد شهد العصر الموحدي نهضة أدبية وفكرية كبيرة وهذا راجع إلى التشجيع المادي والمعنوي الصادرين من الحكام الموحدين [1]، الذين اعتنوا بالعلم والعلماء وساهموا في تنشيط الحركة الفكرية والأدبية [2]، فاهتموا بالشعراء وشجعوهم وأغدقوا عليهم بالأموال والعطايا وقربوهم من البلاط [3]، وكلفوهم بنسج قصائد تدعم السياسة الموحدية وتبرز خصال وفضائل الحكام الموحدين [4]، فجاءت بذلك كتابات هؤلاء الشعراء كبحر ممتد من الصور والأوصاف الخيالية حول الحاكم الموحدي وخصاله الحميدة وهذه الصور من شأنها أن ترفع من مكانة هذا الحاكم إلى مصاف الأبطال.

ومن أشهر شعراء البلاط الموحدي نذكر: الجراوي، ابن حربون، ابن حبوس... الخ[5]، وفي مقابل سياسة الموحدين اتجاه الشعراء فقد اهتمت أيضا واعتنت بفئة الكتّاب[6]، حيث نجد أن كبار الموظفين المساعدين للحاكم الموحدي كانوا فئة

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، ج1، ص369؛ الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص15.

[2] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ص207.

[3] الخليفة عبد المؤمن اعطى أحد الشعراء على بيت واحد أنشده إياه ألف دينار. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص369.

[4] رسائل موحدية –مجموعة جديدة–، تح: أحمد العزاوي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2001م، ج1، ص245.

[5] أحمد بن محمد بن العافية ابن القاضي المكناسي الفاسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة وورّاقة، الرباط، 1973م، ص209– 218.

[6] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص352.

الكتّاب، ويذكر المقري أن الكتابة كانت على نوعين أعلاهما منصب كاتب الرسائل، وأشرف أسمائه "الكاتب" ولا يجب أن يكون فيه نقص ظاهر[1].

ومن أشهر كتّاب البلاط الموحدي والذين وقفنا لهم على نماذج لرسائل قاموا بإنشائها نذكر: أبا جعفر بن عطية، الوزير والكاتب لدى السلطان "عبد المؤمن"، أبا القاسم المالقي، ابن المرخي، وأبا الحسن بن عياش، وغيرهم من كتّاب السلطان يوسف، وأشهر كتّاب المنصور والناصر والمستنصر هو أب و عبد الله محمد بن عياش[2].

ومن هنا فإن هؤلاء الكتاب والشعراء حاولوا بكلماتهم رسم لوحة فنّية، خيالية حول الحاكم الموحدي، وكانت كتاباتهم تفيض بعبارات التقديس والتعظيم والتعالي بشخصه.

أولا- الحسن والبهاء:

كانت أمداح كتّاب وشعراء البلاط الموحدي حول الحكام الموحدين تتّسم بالمبالغة والروح العجائبية، وهذا أمر طبيعي في الكتابة الأدبية -شعرا ونثرا- لأن من أبرز خصائصها هو الخيال، لكن ما يلاحظ حول كتاب وشعراء البلاط الموحدي، أنهم عمدوا إلى استعمال تلك الأوصاف والصور الخيالية، بهدف التّرفيع والتعالي والتعظيم بشخص الحاكم الموحدي، بحيث حرصوا على إظهاره بصورة الحاكم المثالي والبطل الخارق القادر على مواجهة أعدائه أينما حلّوا وارتحلوا.

---

[1] مجموع رسائل موحدية، تح: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941، ص23- 26.

[2] رسائل موحدية -مجموعة جديدة- (أحمد العزاوي)، ص226.

فنجد مثلا الشاعر ابن حربون [1]، الذي يرى أنه نظرا لمكانة الحاكم الموحدي، فإن الشمس تمشي شيقة إليه يقول[2]:

تَسيرُ الشَّمْسُ شَيِّقَةً إِلَيْـــــــــهِ كَأَنَّ الطَّيْرَ بَيْنَهُمَا حِجَابُ

في شعر ابن حربون دليل واضح على أن الحاكم الموحدي له مقام رفيع، ومقامه هذا جعل الكواكب تود لو كانت من موكب هذا الحاكم، يقول ابن حربون[3]:

تَـــوَدَّ الْكَوَاكِبُ لَوْ أَنَّـــــــــهَا مِنْ بَعْضِ جُنُودِهِمْ مَوْكِبُ

ومن الشعراء الذين مدحوا الحكام الموحدين نذكر: الشاعر أبو بكر بن مجبر، له قصيدة يقول فيها[4]:

هَـــــــــــل زِيدَتْ الشَّمْسُ لِلْأَنْوَارِ أَنْوَارَ أَمْ عَادَتْ الشُّهْبُ فِي الْأَفْلَاكِ أَقْمَارَ؟

أَمْ أَعْطَـــــــــى الدَّهْرُ نُورًا غَيْرَ نُورِهِمَا فَـــــــــإِنَّ لِلَّـــــــــهِ فِي الْمَنْعِ ـــــــــفُودٍ أَسِـــــــــرَارَ

مَاذَاكَ إِلَّا لِأَمْـــــــــرٍ كُلِّـــــــــهِ غَـــــــــجِـــــــــبٌ قَدْ أَعْطَى الدِّينُ مِنْهُ فَوْقَ مَا اخْتَارَا

---

[1] أبو عمر أحمد بن عبد الله الشلبي الأندلسي، من أهل القرن السادس الهجري، من جملة كتاب السيد أب ي حفص، لا يعرف سنة مولده على الدقة، ولا يعرف تاريخ وفاته. ينظر: عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص255؛ وأبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي، زاد المسافر وغرة الأدب السافر، تح: محمد بنشريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2012م، ص90 .

[2] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص191.

[3] المصدر نفسه، ص278.

[4] التجيبي، زاد المسافر، ص29.

لقد حاول الشاعر أبو بكر بن مجبر من خلال هذه الأبيات أن يُظهر الحاكم الموحدي في أروع صور الحسن والبهاء، وأن وصف هذا الحاكم يفوق كل حدود الوصف، بحيث أثار الحيرة و العجب في النفوس.

إلى جانب من سبق ذكرهم من شعراء البلاط الموحدي، الذين تفننوا في مدح الحكام الموحدين ونسجوا حولهم أبياتا تضمنت صورا وتشبيهات وأوصاف خيالية، من شأنها أن ترفع من شخص هذا الحاكم إلى رتبة الأبطال، هناك شاعر آخر، الذي كان يلقب بشاعر "الخلافة الموحدية "وهو الشاعر أبو العباس الجراوي[1]، الذي نظّم قصيدة في مدح السلطان يعقوب المنصور، يقول الجراوي[2]:

مَنْ رَامَ وَصْفَكَ مُسْتَوفِي فَغَفْلَتِـــــــــــــــــــــــــــــــهُ بِيدِي، وَمِنْ

فَهمِهِ عِنْدَ الوَرَى يُضَعُ

أَضْحَتْ عَلَاكَ مَكَانَ النَّجْمِ فِي مِدَحِي مَا حِيلَتِي وَبُلُـــــــــــــوغُ

النَّجْـــــــــــــمِ مُمْتَنِـــــــــــــعُ

يستفيض هذا الشاعر في مدحه للحكام الموحدين في قصيدة أخرى، هنأ بها السلطان محمد الناصر[3] بمناسبة بيعته، يقول[4]:

---

[1] أحمد بن عبد السلام الجراوي الغفجومي الفاسي، ولد بتادلا في العقد الثالث من القرن السادس الهجري، زمن احتضار الدولة المرابطية وظهور الدولة الموحدية، كان الجراوي من شعراء البلاط، توفي عام 609هـ/1212م. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995م، ص182؛ ومحمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط 2، تح: إحسان عباس، بيروت، لبنان، 1984م، ص127.

[2] ديوان الجراوي، تح: علي إبراهيم كردي، ط1، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، 1994م، ص104.

[3] أبو عبد الله الناصر حكم ما بين (595-610هـ/1199-1213م). ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2005م، ص204.

[4] ديوان الجراوي، ص109.

فُتَّ المدائحَ، فالبليغُ مُقصِّرٌ ولَوْ أنَّهُ نظَمَ الكواكبَ أحْرُفَا

يقول الجراوي في قصيدة مدح بها السلطان يوسف بن عبد المؤمن[1]:

عُـــــــــــذْرًا أبا يعْقُـــــــــــوبَ عَلْكُـــــــــــمُ لَقَدْ أفْنَيْـــتُ الأمْدَاحَ وَهِيَ فُنُونُ

لَا يَبْلُغُ المَنْثُورُ بعْضَ مآثِرٍ صَانَتْ لَكَ العُلْيَا وَلَا المَوْزُونُ

كَمْ مِدْحَةً لَكَ بَعْدَهَا مَذْخُورَةٌ تَسْـــــتَزِنُ المَـــــدَائِحُ كُلَّهَا وَتَزِيـــــنُ

ما يلاحظ حول شعر الجراوي أنه لوحة فنية متكاملة النسج والتشكيل، تتداخل فيها ألوان المدح المختلفة، وأشكال الوصف المتعددة، لتظهر بذلك صورة الحاكم الموحدي كلوحة نادرة رسمتها أنامل فنان يسمى أبا العباس الجراوي، والملقب بشاعر بني عبد المؤمن[2]، ولقد ساهم هذا الشاعر في إثراء متحف الدولة الموحدية.

الشاعر ابن حريق هو شاعر آخر من الشعراء الذين مدحوا الحكام الموحدين ونسجوا حولهم قصائد خيالية تصف حسنهم وبهاءهم وخصالهم الحميدة.

يقول ابن حريق في قصيدة مدح بها السيد أبو يحيى[3]:

قَـــــمَرٌ تَطَلَّعَ والهَوَاءُ سَمَـــــاؤُهُ ملأَ النَّوَاظِرَ والنُّفُـــــوسَ بَهَاؤُهُ

يَـــــرْتَاعُ مِنْهُ مَسِيرَةً وَمَقَامَـــــهُ يَضِيقُ عَنْهُ أَمَامَـــــهُ وَوَرَاؤُهُ

وَيَكَادُ يَسْتَلِبُ الخَوَاطِرَ حُسْنُهُ وَيَكَادُ يَخْتَطِفُ العُيُونَ ضِيَاؤُهُ

[1] المصدر نفسه، ص168.

[2] التجيبي، زاد المسافر، ص49.

[3] مؤلف مجهول، ذيل زاد المسافر، تح: محمد بن شريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2012م، ص176.

نلاحظ أنّ الشاعر ابن حريق قد بالغ في وصف الحاكم الموحدي، فجعل منه قمرا في حسنه وبهائه، ومن شدّة جمال ممدوحه فإن الخواطر تُسلب.

في هذه الجولة الأدبية التي انتقلت بنا بين فنون الكتابة الأدبية من شعر ونثر، وجالت بنا في سماء الدواوين الشعرية، وغاصت بنا في أعماق الرسائل الرسمية، وجدنا أنفسنا أمام جرعات متزايدة من الوصف والمدح لشخص الحاكم الموحدي، والمغالاة والمبالغة في وصفه بأروع صور الحسن والبهاء.

فإذا قلنا أن من خصائص الشعر هو استعمال الخيال، والصور المبالغ فيها، فماذا نقول إذا عن رسائل كتّاب البلاط الموحدي التي كانت تفيض بعبارات التعالي والتعظيم بشخص الحاكم الموحدي.

ولنا فيما أنشأه الكاتب أ بو جعفر بن عطية [1] خير دليل على مبالغة هؤلاء الكتّاب وحرصهم على مدح السلاطين الموحدين، يقول ابن عطية: "... ونصل الرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، المحرز شرف المبادئ والعواقب، المجلى بنوره الثاقب، حجب الظلام الواقب"[2].

ويقول أيضا: "... الرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، الذي تهللت به قسمات الدين وأسرته، وانفجرت بهدايته أزمات الأمر وعسرته"[3].

---

[1] أبو جعفر أحمد بن محمد بن عطية، من أهل مراكش، كتب لعلي بن يوسف المرابطي، وبعد فتح مراكش اختفى أحمد ضمن الجند الموحدي، وأصبح كاتب الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج3، ص99-101؛ وعبد الواحد المراكشي، المعجب، ص390 .

[2] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص1.

[3] المصدر نفسه، ص6، 7.

حرص هذا الكاتب من خلال هاتين الرسالتين وغيرهما مما كتبه من رسائل على إبراز الخصال الحميدة للحاكم الموحدي، ويرسم له صورة متكاملة التشكيل تظهره بمظهر الحاكم المثالي.

ومن جهة أخرى فقد أبدع كاتب آخر في توظيف عبارات التعظيم والتعالي بشخص الحاكم الموحدي، ونقصد هنا الكاتب أبو الفضل بن محشرة [1]، إذ يقول في رسالة كتبها نيابة عن حاكمه، يقول: "... والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، الذي رفع بظهوره علم الشّرع ولواءه، ووفى الكافة بعلمه الواضح، وهديه المستقيم، الصالح"[2].

وفي رسالة أخرى يقول: "... والرضا عن الإمام المعصوم...، ما حلّ الظلام مناظمه، وطحر بهديه عن نواظر القلوب والبصائر...، وجلي بأضوائه البهية"[3].

لقد عمد كتاب وشعراء البلاط الموحدي إلى المبالغة في استعمال كلمات وعبارات تظهر الحكام الموحدين في أفضل صور الحسن والبهاء والجمال، كما حرص_ هؤلاء الكتّاب والشعراء_على رسم أروع اللوحات وأبدعها، لوحات صورت لنا الحاكم الموحدي في صورة الحاكم المثالي، القادر وصالح لحكم الرعية.

ثانيا- الصدق والإخلاص:

نجد أن صفة الصدق والإخلاص كانت من أهم الفضائل التي مدح بها كتّاب وشعراء البلاط الموحدي ممدوحيهم من الحكام الموحدين، ورسموا بكتاباتهم

---

[1] أبو الفضل جعفر بن علي بن طاهر بن تميم البجائي الأشيري، ولد سنة 540هـ، استدعاه الخليفة يوسف إلى مراكش فوصله، وخدم أبا القاسم المالقي إلى أن مات، كتب عن الخليفة يعقوب بن يوسف . ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص244.

[2] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص164، 165.

[3] المصدر نفسه، ص210-211.

وقصائدهم صورا خرافية، حول صدق وورع هذا الحاكم، وإخلاصه في خدمة رعيته، وحرص هؤلاء الكتاب والشعراء على إظهار هذا الحاكم في صورة الحاكم الصادق، الورع، القادر على حكم دولته، والدفاع عن مصالح الرعية.

ومن جملة هؤلاء الكتّاب والشعراء الذين بالغوا في مدح الحاكم الموحدي وحاولوا إضفاء سمة الصدق والإخلاص على شخصه وسياسته، نجد الشاعر ابن حربون، الذي نظّم العديد من القصائد في مدح الحكام الموحدين، والتعالي بسياستهم بشخوصهم وسياستهم، يقول[1]:

بَرَاهِينُ صِدْقٍ لَا تَزَالُ وَلَمْ تَزَلْ تُثْبِتُ يَقْظَانًا وَتُوقِظُ نَائِمًا

يظهر لنا جليا من خلال هذا البيت وغيره من الأبيات والقصائد التي نظمها هذا الشاعر، أن هذا الأخير قد بالغ في إضفاء سمة الصدق والورع على الحكام الموحدين[2]، وذلك راجع بالأساس إلى موقعه، فقد كان ملازما للسلطة الموحدية، وكان شاعر البلاط[3]، كان شاعر تحت الطلب ، تحت طلب الحكام الموحدين، ورهن إشارتهم وأمرهم.

فقد كانت مهمته هي مدح ووصف الحكام الموحدين بأبهى الصور، وإظهار فضائلهم وخصالهم الحميدة، والذود عن سياستهم[4].

تأتي صفة التقوى أيضا من بين الصفات التي أضفاها كتاب وشعراء البلاط الموحدي على ممدوحيهم، فنجد مثلا الشاعر ابن حربون يتغنى بهذه الصفة ويحاول إلصاقها بالحكام الموحدين، يقول[1]:

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص299.

[2] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص255.

[3] التجيبي، زاد المسافر، ص89.

[4] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص175.

مَليكٌ إذا لاحَ النّهارُ مُعَظّمٌ وأمّـــــــا إذا جَـــــــنّ الظّلامُ فَعابِدُ

فالحاكم الموحدي في شعر ابن حربون هو حاكم في النهار يحكم ويدير شؤون ومصالح رعيته، وأما إذا حضر الظلام والليل، فيصبح وقتها عابدا، قائما، وهذا من شدة تقواه وورعه.

وهذا الحاكم عند هذا الشاعر وغيره من الكتاب والشعراء قد ارتقى في سلم التقوى، بحيث أصبح شغله الشاغل هو السيف والمصحف والمسجد، يقول ابن حربون[2]:

ومَنْ إرتَقى في سُلّمِ التقْوى رأى زُهْرَ الكَواكِبِ بالحَضيضِ الأوْهَدِ

الفَـــــــــــــــتْ أزِمّتُها إلى مَنْ هَمُّـــــــــــــــــــهُ في مَرْهَفٍ أوْ مُصْحَفٍ أوْ مَسْجِدِ

لقد حرص كتّاب وشعراء البلاط الموحدي على ترفيع وتعظيم شخصية الحاكم الموحدي، والدفاع عن سياسته، ومحاولة إظهارها بصورة السياسة الرشيدة [3]، وفي سبيل رسم هذه الصورة، نجد أن هؤلاء الكتّاب والشعراء قد بالغوا في تعظيم الحكام الموحدين، ومن هؤلاء الكتاب نذكر: الكاتب أب و المطرف بن عميرة [4]، الذي أنشأ رسالة حول تجديد بيعة أهل مكناسة للخليفة السعيد، يقول:

---

[1] المصدر نفسه، ص175.

[2] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص299.

[3] الشاعر كرّس جلّ شعره في مدح السلاطين الموحدين. ينظر: التجيبي، زاد المسافر، ص49.

[1] أحمد بن عبد الله بن الحسين بن عميرة المخزومي، أصله من جزيرة شقر بشرق الأندلس، ولد بها سنة 580هـ، كان كاتب للسيد أبا عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن. ينظر: أحمد أبو العباس بن أحمد العبريني البجائي، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح: رابح بونار، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص178-180.

"... اللهم ارض عن خليفتك في عبادك... الإمام المؤيد، والحسام المهند، الأتقى الأظهر الأعلى المعتضد بالله أمير المؤمنين أبو الحسن ابن سيدنا الخليفة الإمام المأمون بالله أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين"[1].

من خلال هذه الرسالة وغيرها من رسائل وكتابات شعراء وكتّاب البلاط الموحدي، فإن المبالغة في التعالي بالحاكم الموحدي وتعظيمه، ومدحه بأبهى الصور والأوصاف، تلخصه في مقولة "كتاب وشعراء تحت الطلب"[2].

[1] رسائل موحدية -مجموعة جديدة- (أحمد العزاوي)، ص400.

[2] كانوا كتّاب وشعراء البلاط الموحدي. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج1، ص207.

ثالثا- الكرم والجود:

كل أنصار الموحدين من الكتّاب والشعراء، يحرصون كل الحرص على إظهار خصال الحكام الموحدين،ووصفهم بأوصاف الصدق والتقوى والكرم والجود وغيرها من الفضائل، إذ نجد أن الحاكم الموحدي في شعر ابن حربون على سبيل المثال، كريم جدا وراحة يده تشبه المزن (المطر)، الذي يصبغ على الأرض الخصب والنماء، ثم إن كرم طبعه يشبه الرافدين (نهري دجلة والفرات)، يقول ابن حربون[1]:

لـ ـة راحةٌ لوْ أنّ للْمـ ـزْنِ

جـ ـودها لَمَا سارَ يَبْغي الخِصْبَ في الأرْضِ رائدُ

وَطبـ ـعٌ تَمنّى

الرّافـ ـدانِ لوْ أنّـ ـهُ

يَمُـ ـدّهُما مِنْهُ

مَعيـ ـنٌ

ورَافـ ـدُ

ويرمز هذا الشاعر للكرم بالندى، فكأن الندى يخرج من كفي ممدوحه، ومن صفات يديه أيضا أنهما مبسوطتان، يقول[2]:

يَعْشَـ ـوْنَ مِنْهُ إلى أنْوارِ ذي فَطِنٍ يَكـ ـادُ لَوْلا نَدَى

كَفّيْـ ـهِ يتّقِـ ـدُ

لا يَقْبِضُ العَذْمُ كَفّاً عَنْ أخِي أدَبٍ إلّا إذَا انْبَسَطَتْ بِالعُرْفِ مِنْهُ يَدُ

---

[1] رسائل موحدية مجموعة جديدة(أحمد العزاوي)، ص176.

[2] المصدر نفسه، ص182.

لقد بالغ هذا الشاعر في وصف كرم الحاكم الموحدي، وجعل له راحة سحاء أي تسيح بالخير والجود، يقول[1]:

يَا مَنْ لَهُ رَاحَةٌ سَحَّاءُ مُذْ خُلِقَتْ لَمْ يَدْخُلِ النَّاسَ بَالُو كَافَةَ الهَطَلِ

ومن الشعراء الذين وصفوا كرم الحاكم الموحدي، بكثير من المبالغة والمغالاة، نذكر الشاعر أبو العباس الجراوي، حيث نظّم قصيدة في مدح السلطان أب و يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، يقول[2]:

أَوْ ذَى إِلَيْكَ ثَنَاءَ العُرْبِ وَالعَجَمِ جُودُ أَبِي يَعْقُوبَ عَلَى الذُّمَمِ وَالدِّيَمِ

سَطَا وَجَادَ أَبُو يَعْقُوبَ فَاعْتَرَفَتْ لَهُ المُلُوكُ بِفَضْلِ البَأْسِ وَالكَرَمِ

فالحاكم الموحدي في شعر الجراوي، كريم معطاء ومن شدّة كرمه، أن العرب والعجم أثنوا عليه، وحتى الملوك اعترفوا بفضله وكرمه.

ونجد أن الجراوي يشبه الحاكم الموحدي بالسماء التي تمنح وترزق، يقول[3]:

مَا شَكَّ ذُو النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَلَا امْتَرَى أَنَّ الْـــــوَرَى أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَـــاءُ

فالحاكم الموحدي في شعر الجراوي هو السماء وكل الخلق هم الأرض؛ التي تجللها سماء هذا الحاكم؛ فهو يمنح ويرزق.

يزيد "الجراوي" في جرعة المدح ووصف كرم وعطاء الحاكم الموحدي، يقول[1]:

---

[1] المصدر نفسه، ص280.

[2] ديوان الجراوي، ص141.

[3] المصدر نفسه، ص27.

أعْلَى المُلُوكِ يَدًا وَأَمْنَعُهُمْ حِمًى   وَأَعَمُّهُمْ صَفْحًا وَأَبْعَدُهُمْ مَدَى

عَمَّ الوَرَى عَدْلًا وَجُودًا فَاغْتَدَى   هَذَا لَهُمْ ظِلًّا، وَهَذَا مَوْرِدَا

مَا الجُودُ مِمَّا كَانَ فِي طَبْعِ الحَيَا   لَكِنْ مِنْهُ المَوَاهِبُ فَاقْتَدَى

يحاول هذا الشاعر من خلال هذه الأبيات هذه الصور التعبيرية، أن يظهر كرم ممدوحه بكثير من المبالغة، تجعل الكرم كصفة من الصفات الحميدة- يرى في هذا الحاكم قدوة له.

ومن الشعراء الذين تغنوا بكرم الحاكم الموحدي في أشعارهم، نذكر الشاعر ابن حبوس[2]، الذي بالغ في قوله أن جود وكرم هذا الحاكم قد عم البسيطة كلها، يقول[3]:

وَقَدْ وَسِعَ الأَيَّامَ جُودًا وَنَجْدَةً   وَلَيْسَ لِمَا تَأْتِي بِهِ عِنْدَهُ قَدْرُ

هذا البيت من قصيدة قالها في مدح السلطان عبد المؤمن، لما حل برباط الفتح (جبل طارق) سنة 546هـ[4]، فوصف كرم هذا السلطان بلغة تفيض منها عبارات التعالي والترفيع، إذ جعل هذا الشاعر من كرم الحاكم الموحدي، كرزق ساد وعمّ البسيطة، وغمر كل الرعية بعطفه وجوده.

[1] المصدر نفسه، ص74.

[2] أبو عبد الله محمد بن حبوس من أهل مدينة فاس، كان من أبرع الشعراء، حيث لقي حظوة لدى عبد المؤمن، له قصائد كثيرة. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 180.

[3] التجيبي، زاد المسافر، ص24.

[4] المصدر نفسه، ص24.

لقد قام كتّاب البلاط الموحدي أيضا بحشد عبارات وصفية خرافية، تظهر الحاكم الموحدي في أفضل صور الكرم، الجود والعطاء،وأنه مصدر الرزق والنعم، ومن بين الكتابات والرسائل التي تظهر صفة الكرم لدى هذا الحاكم، تلك الرسالة التي أنشأها الكاتب ابن عطية نيابة عن الخليفة عبد المؤمن بن علي، والتي يقول فيها: "... فهي الفتوح التي ظهر بها من غزوة المهدي –رضي الله عنه– العجب العجاب، وفاض فيها من بركاته الفيض المنساب، ودرت بها الأرزاق وانتشر الأمن وكرم المآب"[1].

حاول الكاتب ابن عطية من خلال هذه الرسالة أن يشير إلى كرم خليفته، موضحا أن انتصارات الموحدين، تجلب معها الرزق والنعم للرعية، وأن كرمهم قد عمّ كل البسيطة، فهم بذلك أهل جود وعطاء.

هناك رسالة أخرى من إنشاء الكاتب أبو عبد الله بن عياش [2] نيابة عن الخليفة الناصر، حول فتحه المهدية، يقول فيها: "... ولما حللنا عرى السفر بأن حللنا حمى المهدية... فالحمد لله الذي أقرّ الحق في نصابه... فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء، وعمّ الأمن والخير به بسيطي الأرض والماء، وشكر الله عليه فرض، في كل قطر من أقطار الأرض"[3].

كان الهدف من هذه الرسالة هو الإبلاغ بفتح المهدية من قبل الخليفة الناصر، ومحاولة إظهار النتائج الطيبة لهذا الفتح، فجاءت رسالة "أبو عبد الله بن عياش"، تفيض بالكلمات والعبارات الموحية، وبالأوصاف الخيالية، التي توحي بأهمية هذا

---

[1] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص2، 3.

[2] محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش، أصل سلفه من سرقسطة، ولد سنة 556هـ، وهو كاتب وخطيب، توفي سنة618هـ. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص263.

[3] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص242، 243.

النصر، ومكانة الحاكم الموحدي وعلو كعبه ومقامه، إذ يعود لهذا الحاكم الفضل في أن ملأ الكرم والرزق كل البسيطة، وانتشر الأمن بين الرعية.

لقد حرص كتّاب وشعراء البلاط الموحدي على ترفيع وتعظيم شخص الحاكم الموحدي، وساهموا بكتاباتهم في إحاطة هذا الحاكم بهالة تقديسية، تجعله منزّه عن الخطأ، فكل أقواله وأفعاله هي حق وكل ما يصدر عنه لابد من الامتثال له وتطبيقه، وذلك من منطلق أن الله عز وجل هو من يسدّد خطى هذا الحاكم.

رابعا- الشجاعة والإقدام:

أبدع كتّاب وشعراء البلاط الموحدي في وصف شجاعة ممدوحيهم من الحكام الموحدين، فرسموا بقصائدهم وكتاباتهم صورا خيالية من مواقف الجرأة والشجاعة والإقدام، ووصفوا انتصارات الموحدين بلغة يشوبها الفخر والتعظّيم، فنجد مثلا الشاعر الجراوي قد بالغ في وصف شجاعة الحاكم الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، يقول[1]:

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ لِوَاءَهَا العَلْيَاءُ وَتَحَيَّرَتْ فِي وَصْفِكَ الشُّعَرَاءُ

وَقَضَى الذِي أَعْطَاكَ سَعْدًا مُقْبِلًا أَلَّا يُفَارِقَ حَاسِدِيكَ شَقَاءُ

لَوْ كَانَتِ الجَوْزَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ لَمْ تَنْجُ مِنْ غَارَاتِهِ الجَـــــوْزَاءُ

تظهر مبالغة الجراوي في مدحه لحاكمه، حيث أكد أنه لو كان كوكب الجوزاء من أعداء هذا الحاكم، فان كوكب الجوزاء لن ينج من بطشه وغاراته.

[1] ديوان الجراوي، ص27.

يستفيض هذا الشاعر في وصف شجاعة الحكام الموحدين، يقول[1]:

فَتْحٌ يُطَاوِلُ فَتْحَهُ الأَحْقَـــــــــابِ ـــــــــا خَضَعَتْ لَهُ فِرَقُ

الظَلَالُ رِقَابَا

وَاسْتَشْعَرَ الْمِرَاقُ مِنْهُ مَخَافَـــــــــةً مِـــــــــلَكَتْ

عَلَـــــــــيْهِمْ جِيئَةٌ وَذَهَابَا

شَرَفُ الزَمَانِ بِأَنْ تَكُونَ أَبَا لَهُ مِـــــــــا أَنْ ... إِنْ

جِبِـــــــــابِـــــــــا

ما يلاحظ في شعر الجراوي، أنه وصف الحكام الموحدين بصفات من شأنها أن ترفعهم إلى مصاف الأبطال، حيث يمكنهم أن يقضوا على أعدائهم أينما كانوا، فسيف الحاكم يطال رقابهم أينما ارتحلوا حتى وان كان المكان يعجز عنه البشر العاديون، كالكواكب والنجوم، فإن هذا الحاكم يمكنه الوصول إليه، وأن شجاعته تزرع الرعب في نفوس أعدائه.

كان الشاعر أبا العباس الجراوي من الشعراء الكبار الذين عاشوا في البلاط الموحدي[2]، وقد كرّس جلّ شعره في مدح السلاطين الموحدين [3]، فخدم بشعره السلاطين الأربعة الأوائل (عبد المؤمن بن علي، يوسف بن عبد المؤمن، يعقوب المنصور، محمد الناصر)[4]، ومدحهم بجل شعره، وكان يحظى لديهم بمكانة عالية، ومن كثرة مدحه لهم قيل عنه "شاعر بني عبد المؤمن"[5].

---

[1] ديوان الجراوي، ص41.

[2] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص128.

[3] الحميري، الروض المعطار، ص127.

[4] ديوان الجراوي، ص104.

[5] التجيبي، زاد المسافر، ص49.

في إطار الحديث عن مدح كتاب وشعراء البلاط الموحدي للسلاطين الموحدين بصفة الشجاعة والإقدام، بجرنا الحديث عن شاعر آخر، نسج حول شجاعة الحاكم الموحدي العديد من القصائد، والشاعر الذي نقصده هو الشاعر ابن حربون، فالحاكم الموحدي في شعر هذا الأخير، هو شخص من عظم شجاعته وشدّة بأسه أن قيصر الروم في ملكه، أصبح يجنح للسلم اتقاء غضب هذا الحاكم، قول ابن حربون[1]:

أَلَمْ تَرَ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ ... إِلَى السِّلْمِ مِنْ بَأْسِكُمْ يَهْرُبِ

شدّة بأس الحاكم الموحدي وشجاعته في شعر ابن حربون، تزرع الرعب وتثير الرهبة في نفوس أعدائه، يقول[2]:

فَلَمَّا زِلْتَ يَرْجُوكَ مَنْ يَرْجِي ... وَيَرْهَبُ بَأْسَكَ مَنْ يَرْهَبِ

يزيد ابن حربون في جرعة المدح، واصفا شجاعة وبسالة حاكمه، يقول[3]:

بَطَشَتْ يَدَاهُ بِالْأَعَادِي بَطْشَةً ... خَضَعَتْ لَهَا عُنُقُ الزَّمَانِ الْأَصْيَدِ

فالحاكم الموحدي في شعر ابن حربون هو بطل شجاع، مقدام، يزرع الرعب في أعدائه، وسيفه يطال رقابهم في كل مكان ولا مفر من بطشه وبأسه.

الشاعر ابن حربون عاش قريبا من السلطة الموحدية [4]، وكان شاعرها بل كان من خواص السيد الأعلى أبو حفص، وكان ملتزما عنده يكتب مع الكتّاب، فقد كان

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص279.

[2] المصدر نفسه، ص279.

[3] المصدر نفسه، ص267.

[4] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص299.

لصيقا بالحاكم الموحدي يتتبع أحداث البلاط ويقول فيها شعرا، واهتم بتهنئة هذا الحاكم ومدحه في نفس الوقت، وكأن المدح عند هذا الشاعر قد امتزج بالتهنئة[1].

كانت الشجاعة والإقدام من الفضائل التي مدح بها كتاب وشعراء السلطة الموحدية ممدوحيهم من السلاطين الموحدين، ولنا في رسالة أنشأها الكاتب ابن عطية خير دليل على ذلك، يقول هذا الكاتب: "... فلما كانت الغزوة التي فتحنا بها بجاية وسائر تلك البلاد المشرقية وظهر من نصر الله هنالك العجب العجاب، وتأتي بها من غرائب التسهيل والتيسير ما بهر العقول والألباب"[2].

إلى جانب ما استعمله الكاتب ابن عطية من ألفاظ وعبارات تصف شجاعة الحاكم الموحدي، وتظهر قوته وبسالته، هناك كاتب آخر حرص بدوره على حشد أقوى أشكال المدح والتعظيم والتقدير لبطولات الحكام الموحدين وشجاعتهم، وحديثنا هنا عن الكاتب أبو عبد الله بن عياش، الذي أنشأ رسالة قال فيها: "... وهذا كتابنا إليكم من منزل الموحدين بمنزل أندوجر... فأنت منهم أمم لا يعلمهم إلا الله ولا يحصيهم، وجاؤوا كأمواج البحر في جيوش لا يظل على مصباحها الساري والله مجازيهم بتظافرهم وتواصيهم"[3].

لقد حاول هذا الكاتب في هذه الرسالة إظهار الموحدين في معاركهم، وأنهم واجهوا أعداد هائلة من جيوش العدو، وتمكنوا من دحضها والقضاء عليها، وظفروا بالانتصار الكبير.

---

[1] التجيبي، زاد المسافر، ص90.

[2] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص42.

[3] المصدر نفسه، ص265، 264.

ما يلاحظ حول كتّاب وشعراء البلاط الموحدي أنهم كرّسوا جل إبداعاتهم وقوتهم البلاغية في مدح الحكام الموحدين[1]، وإظهارهم في صورة تشعّ بنور العظمة والقداسة، فيكون هذا الحاكم في هذه الصور التي شكلها هؤلاء الكتّاب والشعراء بمثابة الحاكم المناسب، المثالي، والصالح للحكم بين الرعية [2]، وأنه معصوم ومنزّه عن الخطأ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو من يسدّد خطى هذا الحاكم ويوجهه.

خامسا- العدل والإنصاف:

كانت سمة العدل والإنصاف من السمات التي تغنى بها كتّاب وشعراء السلطة الموحدية، بحيث حرصوا على إلصاق هذه الصفة بممدوحيهم، وهذا ما يلاحظه في شعر ابن حريون الذي حاول إضفاء صفة العدل على الحاكم الموحدي، من خلال ما نظمه من أبيات وما نسجه من قصائد، يقول ابن حريون[3]:

بِعَدْلِ أَبِي يَعْقُوب يَأْمَنُ خَائِفٌ وَيَجْبُرُ مُنْهَاضٌ وَيَصْلُحُ فَاسِدُ

إضافة إلى ما حشده هذا الأخير من قصائد مبالغ فيها، والتي تصف عدل الحاكم الموحدي وإنصافه، هناك شاعر آخر تميز شعره بكثير من المبالغة والمغالاة، وحديثنا هنا عن الشاعر أبو بكر بن مجبر، الذي قال[4]:

أَمِيرٌ قَدْ مَحَى ظُلَمَ اللَّيَالِي وَأَغْرَقَ جُودُهُ ثَوْبَ الذُّهُوبِ

يَمَلُّ الدَّهْرُ مِنْ بَأْسٍ وَبَأْسٍ وَلَيْسَ يَمَلُّ مِنْ خَيْرٍ وَخَيْرِ

لَهُ مِنْ شِدَّةِ الأَزْمَاتِ رَوْحٌ كَبَرْدِ الظِّلِّ فِي حَرِّ الهَجِيرِ

---

[1] كتّاب وشعراء البلاط الموحدي كانوا من أبلغ أهل زمانهم كتابة وشعرا وفصاحة. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج3، ص99 -101.

[2] الشاعر أبو العباس الجراوي، كان يلقب بشاعر بني عبد المومن. ينظر: التجيبي، زاد المسافر، ص49.

[3] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص176.

[4] التجيبي، زاد المسافر، ص30.

عَلِمْتَ وَقَدْ شَكَرْتَ عُلَاكَ أَنَّ إِلَى التَّقْصِيرِ أَنْسَبَ وَالقُصُورِ

إلى جانب من سبق ذكرهم من الشعراء الذين سعوا إلى رسم صورة متكاملة التشكيل، والتي تصف عدل الحاكم الموحدي، نجد أيضا الشاعر أبو الحجاج الحسداوي[1]، الذي نسج قصيدة مدح بها السلطان أبو يوسف، قال فيها[2]:

لَهُدَاكُمْ كَالشَّمْسِ مَا إِنْ تَجْحَدِ وَلَأَمْرُكُمْ كَالدَّهْرِ تَسِيرُ سَرْمَدِ

وَلَقَوْلُكُمْ حَقٌّ أَحَقَّتْهُ النُّهَى وَلَفِعْلُكُمْ ذَلَّتْ عَلَيْهِ الأَسْعُدِ

وَلَكُمْ أَحَقُّ اللَّهُ كُلُّ حَقِيقَةٍ وَبِحَقِّكُمْ يَرْضَى الإِلَهُ وَيُعْبَدِ

فالحاكم الموحدي في شعر أبا الحجاج الحسداوي، هو أعدل خلق الله على الإطلاق، قوله حق وفعله حق، وسمة العدل والإنصاف لا تفارق شخصه وحكمه وسياسته.

لقد تنافس كتّاب وشعراء البلاط الموحدي في رسم صورة متكاملة للخليفة الموحدي، والدفاع عن السياسة الموحدية، فجاءت كتاباتهم تفيض بمختلف أشكال المدح السياسي والتعظيم والترفيع من شخص هذا الخليفة، وذكر فضائله وخصاله الحميدة، ولنا في رسالة أنشأها الكاتب ابن عطية، وهي الرسالة المعروفة برسالة الفصول، قال فيها:

---

[1] أبو الحجاج الحسداوي اليهودي، كان في زمن يعقوب المنصور. ينظر: مؤلف مجهول، ذيل زاد المسافر، ص205.

[2] المصدر نفسه، ص205.

"... وتواصل الرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم... فجلّى بضياء حكمه ما استولى على آفاقها من الظّلم المشتدة الاعتكار"[1].

لقد حاول هذا الكاتب إظهار فضائل حاكمه (عبد المؤمن)، وكيف أن سياسة هذا الحاكم الرشيدة، وعدل حكمه وإنصافه لرعيته، قد جعل الضياء والنور والخير يعمّ الأرض، لقد كان هذا الكاتب من كتّاب البلاط الموحدي [2]، يكتب كل صغيرة وكبيرة يأمره بها الحاكم، ومن هنا كان لابد لهذا الكاتب أن يستخدم كل أشكال المدح والتعالي والتعظيم بشخص هذا الحاكم وحشد ألفاظ الرفعة والقداسة في وصف هذا الحاكم وسياسته، وكل هذا بهدف كسب رضاه.

هناك كاتب آخر إتسمت رسائله وكتاباته بكثير من المبالغة والمغالاة، في ذكر خصال الحكام الموحدين والذود عن سياستهم، وكلامنا هنا عن الكاتب ابن مصادق[3]، الذي أنشأ رسالة نيابة عن والي قرطبة إلى والي غرناطة، يخبره فيها عن دخول ابن همشك[4] في طاعة الموحدين، قال فيها: "... الرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم... والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين خليفته الذي طهّر بعدله البلاد وفتح... الذي أثمر سعيه وأنجح، وكمل بمنى خلافته الأمور الدينية وأصلح"[5].

---

[1] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص 126-127.

[2] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص175.

[3] ابن مصادق من كتّاب البلاط الموحدي، كتب رسالة عن والي قرطبة السيد أبا اسحاق بن عبد المؤمن إلى والي غرناطة الشيخ أبا عبد الله ، سنة564ه. ينظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 390.

[4] إبراهيم بن مفرج من اصل إسباني أسلم جده على يد أحد ملوك بني هود بسرقسطة، وضع يده في يد ابن مردنيش وزوجه ابنته إلى أن أفسدت العلاقة بينهما فإنحاز للموحدين وجاز البحر إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عام 565ه، وإنتقل بأهله وولده إلى مكناس فسكنها إلى أن توفي بها. ينظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص308.

[5] رسائل موحدية -مجموعة جديدة- (أحمد العزاوي)، ص127.

خلاصة القول هو أن كتّاب وشعراء البلاط الموحدي قد نسجوا أساطير خرافية، تبرز الأخلاق الفاضلة للسلاطين الموحدين وتصف محاسنهم، وتظهرهم في صورة تتّسع بالمزايا الرفيعة، من عدل وكرم وشجاعة وغيرها من السمات الرفيعة.

تذكر المصادر التاريخية أنّه قد أصبح من عادة الموحدين في غزواتهم بالمغرب الأقصى تفييئ الأرض وقتل الرجال وسبي النساء والأطفال بعد انتصاراتهم، ودليلنا في ذلك أنّ السلطان الموحدي عبد المؤمن بعد أن فتح تونس سنة 554ه/1159م؛ كان قد أمن أهل تونس في أنفسهم وأولادهم، لا في أموالهم، ودخل الجيش المدينة وحصلت أموالهم تحت التقييد، وبيعت أمتعتهم[1].

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، 1952م، ص10.

الفصل الثاني:

التعالي بالسياسي

في صورة استعارة الصفات النبوية للذات السلطانية

أولا: العصمة والاصطفاء

ثانيا: الخلافة والإمامة

ثالثا: النصر والتأييد

رابعا: استدعاء زمن الأنبياء والمرسلين

خامسا: إعادة إنتاج زمن النبوة المحمدية

انتقل كتّاب وشعراء في مدحهم للحكام الموحدين والتعالي بشخوصهم، من مرحلة توشية ذواتهم السلطانية بالسجايا الرفيعة، كالحسن والبهاء، الصدق والإخلاص، الكرم والجود، الشجاعة والإقدام، وغيرها من الفضائل والخصال الحميدة، إلى مرحلة ترفيع الذات السلطانية إلى مصاف الأنبياء والرسل، بحيث جعل هؤلاء الكتّاب والشعراء، من الحكام الموحدين كأنبياء اصطفاهم الله تعالى، واختيارهم لتبليغ دينه، وأن هؤلاء الحكام مؤيدون بالنصر الإلهي، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يمدهم بالعون والتأييد، ويكتب لهم النصر في معاركهم وحروبهم ضد أعدائهم، وهذه الحروب أطلق عليها أنصار الموحدين من الكتّاب والشعراء، لفظ الغزوات والفتوحات، كما حرص هؤلاء الكتّاب والشعراء على إضفاء طابع القداسة على هذه المعارك فشبهوها بغزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأكدوا على فكرة عصمة الحكام الموحدين، وأن الله -عز وجل- حباهم هذه الصفة لتسدد خطاهم، وتحكم قراراتهم وتصرفاتهم، كما نسبوا إليهم صفات وأخلاق الأنبياء، وجعلوهم خلفاء الله في الأرض، وشبهوا قصص هؤلاء الحكام بقصص الأنبياء، وحاولوا بكتاباتهم إعادة إنتاج زمن النبوة المحمدية.

أولا- العصمة والاصطفاء:

كانت صفتي العصمة والاصطفاء من بين الصفات التي مدح بها أنصار الموحدين من الكتاب والشعراء، ممدوحيهم (السلاطين الموحدين)، فقد انطلق هؤلاء الكتّاب والشعراء في مدحهم من مبدئي الحق والعدل، فالحاكم الموحدي هو إمام

معصوم منزّه عن الخطأ وهو الذي سيملأ الأرض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا،وسيحل الحق محل الباطل، وفي هذا يقول الشاعر ابن حربون [1]:

قَدْ حَصْحَصَ الحَقُّ لَا رَيْبٌ وَلَا فَنَدٌ   هَذِي الفُتُوحُ الَّتِي كَانُوا بِهَا وُعِدُوا

ثم إن هذا الحاكم في شعر ابن حربون هو شخص منزّه عن الخطأ، لأنّ الله – عز وجل– يلهمه في تصرفاته، ومن هنا فهو لا يخطئ ولهذا يجب طاعته، يقول [2]:

لَمَّا اجْتَبَاهُ لِنَصْرِ الدِّينِ أَيَّدَهُ   بِعِصْمَةٍ أَمِنَتْهُ مَدْحَضَ الزَّلَلِ

ويضيف قائلا[3]:

كَأَنَّ النَّاسَ مِنْ خَطَأٍ وَأَنْتُـــــمْ   أَدَامَ اللَّهُ أَمْــــــــــرَكُمْ صَـــــــــــوَابُ

نلاحظ أن الشاعر "ابن حربون" يحرص دائما على أن يصبغ على الحكام الموحدين صفة العصمة، التي تبعدهم عن كل خطأ أو زلل وتجعلهم فوق كل نقد أو معارضة.

هناك شاعر آخر جاءت قصائده مشحونة بالروح المذهبية مدافعة عن السلطة الموحدية، ومادحة لحكامها، وحديثنا هنا عن الشاعر ابن حريق، نظم قصيدة مدح بها السلطان المنصور الموحدي، يقول[4]:

لِلَّهِ جَيْشُ خَلِيفَتِـــــــــهِ رَايَاتُـــــــــــــهُ   مَحْفُوفَةٌ بِالنُّجْحِ فِي الإِقْـــــدَامِ

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص182.

[2] المصدر نفسه، ص280.

[3] المصدر نفسه، ص190.

[4] التجيبي، زاد المسافر، ص174.

مَشْحُونَةٌ عَزَمَاتُهُ مَعْصُومَـــــةٌ آرَاؤُهُ فِي القَصْدِ وَالإِبـــــــــــــــــرَامِ

نلاحظ أن ابن حريق قد بالغ في وصف ممدوحه (المنصور الموحدي)، بحيث جعل أقوال هذا الحاكم وأفعاله معصومة من الزلل والخطأ، وجعله فوق كل نقد، فقوله حق وفعله حق، فجاءت أشعار هذا الأخير مصبوغة بصفات العصمة والإمامة والمهدوية، وحرص هذا الشاعر على الترفيع بذات الحاكم الموحدي إلى رتبة الأنبياء والرسل.

في مقابل ما نسجه شعراء البلاط الموحدي من قصائد تثبت وتؤكد حول فكرة العصمة ومحاولة إلصاقها بالحكام الموحدين، نجد أن الكتّاب أيضا بدورهم قد ساهموا في ترسيخ فكرة العصمة، من هؤلاء الكتّاب نذكر الكاتب أبو عقيل عطية بن عطية[1]، الذي أنشأ رسالة قال فيها: "... والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، المنبعث لتمكين ما عاد لمتفرع السعد أصلا، والمنتخب إعلاء الدين المتين، وإبداء الحق المبين قولا وفعلا"[2].

السلطان الموحدي فيما ألّفه هذا الكاتب من رسائل هو معصوم من الخطأ، منزّه عن الزلل، فقوله هو الحق الذي لا ريب فيه، وفعله هو الصواب الذي لا يمتري.

في إطار المدح السياسي دائما، نجد أن تلاميذ ابن تومرت ومقصدنا هنا هما: البيذق[3]، وابن صاحب الصلاة [1]، قد حرصوا على التأكيد على عصمة الحكام

---

[1] أبو عقيل عطية بن عطية أخو أبي جعفر بن عطية، كان كاتبا في البلاط الموحدي، هو أديب وشاعر. ينظر: ابن الأبار، التكملة،ج4، ص 33.

[2] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص71، 72.

[3] أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، أحد الأقطاب الذين قامت على أيديهم الدولة الموحدية. ينظر: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص9.

الموحدين ومهدويتهم، يقول ابن صاحب الصلاة :"أما بعد حمد الله على ما أولى ومنح والصلاة على محمد نبيه الذي به دين ووضح، الرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم"[2]، وللبيذق نص يؤكد فيه على نفس الفكرة، يقول: "... فقال لنا المعصوم: اكسروا ما وجدتم من اللهو"[3].

يحرص كتّاب وشعراء البلاط الموحدي على الإشارة إلى أن الله -عز وجل- قد إصطفى الحكام الموحدين وإختارهم لحكم الأرض وخلافته عليها، ويتجسد لنا هذا القول فيما نسجه الشاعر ابن حربون من قصائد، يقول[4]:

رَضِيَ الإلَهُ عَنِ الإمامِ المُصطَفَى وسقَتْـــــــــــــــهُ أخْلَقُ السَحابِ الهَطِلِ

يبالغ هذا الشاعر في جعل الحاكم الموحدي أفضل خلق الله، وله من الفضائل والخصال الحميدة ما جعل الله سبحانه وتعالى يختاره ليكون حاكما بين الناس، يقول:

ورِثْتُمْ عَنِ المَهْدِي نُورًا وحِكْمَةً بِهَا اخْتَارَكَ الرَحمَانُ لِلنَاسِ حَاكِـــــــــمًا[5]

يضيف قائلا[6]:

فَجَـــــاءَكَ بُرْهَـــــــــــــــانٌ مِنَ اللَّهِ صَـــــــــــــــادِعٌ

بِقَـــــــــــــــرٍّ بِهِ مَنْ لَمْ يَهِـــــــــــــــزَلْ وَهُوَ

جَـــــــــــــــاحِدُ

---

[1] عبد الملك بن صاحب الصلاة، ولد بباجة، وهاجر الى تلمسان وأقام فيها مطولا، كان يتنقل بين الأندلس ومراكش وتلمسان، كان قريبا من سلاطين وأمراء الدولة الموحدية، حيث كانت له حظوة في بلاطهم، توفي 594هـ. ينظر: عبد الهادي التازي: مقدمة التحقيق لكتاب المن بالإمامة.

[2] ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ، ص240 .

[3] البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، ص23، 24.

[4] ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص249.

[5] المصدر نفسه، ص299.

[6] المصدر نفسه، ص175، 176.

هيَ البيعةُ الغَـــــــــــرّاءُ جاءَتْ يقُـــــــــــــــــــــــودُها إليْكَ منَ الأمْـــــــــــــــرِ السَّمَـــــــــــــــــــــاويّ قائِـــــــــــــــــــــدُ

هُوَ المُصطَفَى منْ صفْوَةٍ بعْدَ صفْوَةٍ وطِـــــــيبُ الفُرُوعِ أنْ تَطِـــــــــــــــــــيبَ المَحـــــــــــــــــائِدُ

يواصل ابن حربون في تشبيه الحاكم الموحدي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه نصر دين الله -عز وجل- ، فأعطاه الله ميراث النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول[1]:

إنَّ الذّي قُمْتَ تنْصُرُ دينَهُ أعْطَاكَ مِيـــــــراثَ النَّبي مُحَمَّدُ

فالحاكم الموحدي في شعر ابن حربون هو بمثابة النبي المرسل، المصطفى والمختار بإرادة الله عز وجل، وأن الله قد اصطفاه عن كل البشر لأنه رأى فيه الحاكم العادل، القادر على حمل راية الإسلام، حيث يرى هذا الشاعر أن ممدوحه خير من حمل راية الإسلام، وخير من دافع عنها وثبّت أركانها، لذلك فالله سبحانه وتعالى حباه بصفة العصمة التي تسدد خطاه وسلوكاته وتبعده عن الزلل، وتجعله منزه عن الخطأ.

هناك شاعر آخر لم يتوان مطلقا في مسألة مدح الحكام الموحدين، وهذا الشاعر هو الجراوي، الذي نظم قصيدة مدح بها السلطان الموحدي يعقوب المنصور، يقول[2]:

إمَامٌ لَهُ فضلٌ علَى الخلْقِ باهِرٌ ومَرتبَتُهُ تَنْحَطُّ عَنْـــــــــــــــــهَا الَمـــــــــــرَاتِبُ

[1] ابن صاحب الصلاة، تمن بالإمامة، ص267.

[2] ديوان الجراوي، ص 37.

حقي ـــــــــــــــــق بميـــــــــــراث النبوّة والهدى ولا عجب أنّ المزايا مواه ـــــــــــــــــب

بقيتم أمير المؤمنين وسعدكم نهزّ قناتهُ وتنضـــــــــــــــــم قواضبُ

يضيف "الجراوي" قائلا[1]:

أوفى بما تـــــــــــرك النبّي محمّدٌ والقايـــــــــــــــــم المهديّ والخلفـــــــــــــــــاءُ

أولّي عهدَ المؤمنين ومنْ بهِ كمّل السرورُ وتمّتْ النعمـــــاءُ

فالحاكم الموحدي عند ابن حربون هو خير من اصطفاه الله تعالى، لنصرة الإسلام والمسلمين، يقول[2]:

شدّ الإلهُ بكمْ للدّين أركانْ وأذعنتْ لكمْ الأيّـــــامُ إذعانا

وارتاضَ كلّ جموحٍ في عِنانكمُ منْ بعدها أعجزَ الروّاضُ أزمانْ

يستفيض هذا الشاعر في جعل ممدوحه خير أفضل خلفاء الله في الأرض وأنه رحمة وبشرى للناس، يقول[3]:

شاءَ إسعادنا الإلـــــــــهُ تعالى يومَ تفويضهِ إليكَ الأمُـــــــــــورا

إنّما أنتَ رحمةُ اللّهِ عمّتْ ساكني الأرضَ منجدا وغيرا

إن مبالغة هؤلاء الكتّاب والشعراء في ترفيع مكانة الحاكم الموحدي إلى مصاف الأنبياء والمرسلين، يمكن فهمها في ضوء أنهم كانوا كتاب وشعراء البلاط، كتّاب وشعراء تحت الطلب، تحت طلب الحاكم الموحدي، هذا الأخير كان يسعى إلى

[1] المصدر نفسه، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص171.

[3] ديوان الجراوي، ص98.

رسم صورة مثالية لنفسه، وذلك من خلال تكليف هؤلاء الكتّاب والشعراء بكتابة ألفاظ وعبارات تجعل من هذا الحاكم أنموذجا للقيم والأخلاق الفاضلة.

ثانيا- الخلافة والإمامة:

جعل كتّاب وشعراء البلاط الموحدي من الحكام الموحدين خلفاء لله في الأرض، وكثيرا ما وظفوا لفظ الخليفة لوصفهم، ومن القرائن على قولنا، أن الشاعر ابن حربون كان يطلق على ممدوحيه لفظ خلفاء الله، يقول[1]:

وَقِيـــــــــرٌ خَلِيفَةُ الرَّحْمَانِ عَيْنًا بِمَـــــــــــــــا سَنَاهُ

سَنَـــــــــــــعْيُكُمْ الزكَى

ويضيف هذا الشاعر مادحا السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي، يقول[2]:

ثُمَّ الدُّعَاءُ لِمَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا خَلِيفَةُ اللَّهِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِي

ما يلاحظ في شعر ابن حربون أنه كان يطفح بالألقاب التشريفية، التي كان يطلقها على ممدوحيه من الحكام الموحدين، وذلك إنطلاقا مما كانوا يطلقونه على أنفسهم من ألقاب، فالحكام الموحدين عند في كتابات هذا الشاعر هم أمراء المؤمنين وخلفاء الله في الأرض، والسلاطين وأبناؤهم يدعون "السادة".

إضافة إلى ما نظمه هذا الشاعر من قصائد تضفي صفة الخليفة على شخص الحاكم الموحدي، فإن الشاعر أبو العباس الجراوي أيضا قد حرص على إضفاء هذه الصفة بالسلاطين الموحدين، يقول[3]:

كُنْتَ فِي الغَيْبِ لِلْخِلَافَةِ أَهْلًا وَخَلِيفًا بِنَيْلِهَا لِـــــــــــــــهَذَا وَجَدِيـــــــــرًا

---

[1] ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص254.

[2] المصدر نفسه، ص 280.

[3] ديوان الجراوي، ص97.

لقد بالغ هذا الشاعر في قوله إن الخلافة خلقت لهذا الحاكم وهو جدير بنيلها وأنه أهلا لحملها.

يستفيض"الجراوي" في مدح حاكمه، يقول[1]:

شَاءَ الإِلَهُ حِمَايَةَ الإِسْـــــــــــلَامِ
فَأَعَزَّ نُصْرَتَهُ بِخَيْـــــــــرِ إِمَـــــــــامِ
بِسَمِيِّ خَيْرِ الخَلْقِ وَالنُّورِ الذي كَفَلَـــــــتْ
بِدَايَتَــــــــةُ إِلَى الإِتْمَــــامِ
فَلْيُهْنِئِ الدُّنْيَا وُجُــــــــــــــودُ خَلِيفَةٍ جَزْلِ
المَوَاهِبِ سَابِغِ الإِنْعَـــــــــــــامِ
وَرِثَ الخِلَافَةَ عَنْ خَلَائِفٍ كُلُّهُ عَلَمُ الهُدَى الهَادِي إِلَى الغَــــــــــلَامِ

إلى جانب ما أبدعه هؤلاء الشعراء من أبيات وقصائد عن الحكام الموحدين، مبالغ في صورها وتشبيهاتها، فإننا نلاحظ أن كتّاب البلاط الموحدين من جهتهم قد حرصوا على أن هؤلاء الحكام هو خلفاء الله في الأرض، ونمثل لقولنا هذا بما أنشأه الكاتب أبو العباس بن جعفر[2]، في رسالة يقول فيها:"... الرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم بالدليل الواضح والشهيد... وعن الخلفاء الراشدين والقائمين بأمره الحميد...، الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ابن الخلفاء المرشدين بنصر عتيد، وفتوح لا يزال في مزيد"[3].

---

1 المصدر نفسه، ص143، 145.

2 كاتب وشاعر معروف في العهد الموحدي. ينظر: رسائل موحدية –مجموعة جديدة– (أحمد العزاوي)، ص33.

3 المصدر نفسه، ص 260، 261.

ما يلاحظ في هذه الرسالة وغيرها من رسائل كتّاب البلاط الموحدي، أنهم يحرصون كل الحرص على إثبات أن السلاطين الموحدين هم خلفاء الله في الأرض، لذلك لا يجوز نقدهم أو عصيانهم، لأن ذلك هو عصيان لأمر الله عز وجل.

كانت فكرة الإمامة من بين الأفكار والمبادئ التي نادت بها الدولة الموحدية، التي أصبحت فيما بعد ركيزة من ركائز الدولة، وهذا ما دفع كتّاب وشعراء البلاط الموحدي لتوظيفها في كتاباتهم، ومحاولة إلصاقها بممدوحيهم من الحكام الموحدين، فنجد الشاعر ابن حربون يوظف فكرة الإمامة ويؤكد عليها، يقول[1]:

طَبْعُ الإمَامِ مِنَ الأَسِنَّةِ لِهَذَا مَا لَمْ يَعْهَدُوهُ فِي أَسِنَّةِ مُعْضَبِ

ويلاحظ ورود لفظ الإمام كثيرا في شعر ابن حربون، يقول[2]:

سَلِيلُ الإمَامِ الْمُجْتَبَى وَشَبِيهُهُ فَإِنْ حَلَّ مَوْلُودٌ فَقَدْ حَلَّ وَالِدُ

فكرة الإمامة تغنّى بها الكثير من الشعراء والكتّاب ومنهم الشاعر الجراوي، الذي قال في قصيدة[3]:

إِنَّ الإِمَامَ هُوَ الطَّبِيبُ وَقَدْ شَفَى عِلَلَ الْبَرِيَّةِ ظَاهِـــــرًا وَدَخِيلاً

حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ تَوجِدُهَا حَامِلًا مَحْمُولًا

يصرّ الجراوي على إضفاء صفة الإمامة على السلاطين الموحدين، حيث نظّم قصيدة في تهنئة السلطان يعقوب المنصور، بمناسبة استقلاله من المرض، يقول[4]:

بُرْءُ الإِمَامِ حَيَاةُ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ عَمَّ السُّرُورُ بِهِ وَانْثَالَتِ النِّعَمُ

---

[1] ديوان الجراوي، ص269.

[2] المصدر نفسه، ص176.

[3] المصدر نفسه، ص137.

[4] ديوان الجراوي، ص149.

وكأن الرعية تمرض بمرض هذا السلطان، وأن شفائه من المرض هو في حد ذاته نعمة وخير يعمّ الأرض، فهو الإمام الذي سيملأ الأرض عدلا ونورا، وبوجوده كملت النعم والأرزاق.

يؤكد الشاعر ابن حريق أيضا على إمامة الحكام الموحدين، حيث نظّم قصيدة مدح بها أبا يحي بن أمير المؤمنين، يقول[1]:

يا ابْنَ الإمَامَيْنِ اللَّذَيْنِ إلَيْهِمَا نُسِبَ الفَخَارُ نَجَارَهُ وَوِلَائَهُ

وَأَخَا الإمَامِ خَلِيفَةَ اللَّهِ الذِّي أَدَى إلَيْهِ مِـــــــــــارَعَتْ

خُلَفَـــــــــــائِهِ

لقد تنافس أنصار الموحدين من الكتّاب والشعراء على إرضاء السلاطين الموحدين، ولتحقيق هذه الغاية سخروا جلّ إبداعاتهم، حيث كانت كتاباتهم تفيض بعبارات التعالي والتعظيم بشخوص هؤلاء السلاطين، وهذا ما يتجسد لنا في الرسالة التي أنشأها الكاتب أبا الحكم بن عبد العزيز بن المرخي [2]، يقول : "... والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، المظهر لشريعة جده -عليه السلام- بعدما أخفاها الظلام وأضمرها... فقام بأمر الله يصدع بنور داجيها... وخليفته وناصره، الإمام أمير المؤمنين الذي بث كلمته الهادية ونشرها"[3].

كانت كتابات أنصار الموحدين من الكتاب وشعراء كلوحة فنية تتداخل فيها ألوان الروح المذهبية للموحدين من عصمة وإمامة ومهدوية، وتجتمع فيها أشكا ل

[1] مؤلف مجهول، نيل زاد المسافر، ص176.

[2] علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز القرطبي، من أهل اشبيلية، ولد سنة 519هـ، هو كاتب موصوف بالإجادة في الكتابة، كتب عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي. ينظر: ديوان الجراوي، ص453.

[3] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص99، 100.

المدح السياسي، لتظهر في صورة لوحة فنية متكاملة التشكيل، والتي تظهر الحاكم الموحدي كأنموذج للقيم والفضائل الرفيعة.

ثالثا- النصر والتأييد:

في إطار المدح السياسي دائما، فقد اعتبر كتّاب وشعراء البلاط الموحدي، النصر الذي يحققه الموحدون، هو نصر من الله عز وجل، بل لأهميته يشبهونه بالنصر الذي كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يحققه، ولهذا أطلق هؤلاء الكتّاب والشعراء على جيوش الموحدين إسم"جنود الله"، بل ذهبوا إلى القول بأن الملائكة كانت تحارب إلى جانب الموحدين، كما كانت تحارب بجانب الرسول -صلى الله عليه وسلم- حينما كان يحارب قريشا، ومن القرائن التي تدعم قولنا هذا، بيت للشاعر ابن حربون، يقول[1]:

وَجَاءَ فِي سُرْعَانِ الجَيْشِ يَقْدُمُهُ جِبْرِيلُ وَالمَلأُ الأَعْلَى لَهُ مَدَدُ

يستفيض هذا الشاعر في تشبيهه لانتصارات الموحدين بانتصارات النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول[2]:

بُلِّجْتُمْ بِكُمُ حُجَجُ الكِتَابِ المُنَزَّلِ ونُصِرْتُمْ نَصْرَ النَبِي المُرْسَلِ

فالشاعر ابن حربون يعتبر انتصارات الموحدين بمثابة انتصارات الأنبياء والرسل، وذلك من منطلق أن الله عز وجل هو المعين والمؤيد لهم في معاركهم وحروبهم ضد أعدائهم.

---

[1] ديوان الجراوي، ص182.

[2] المصدر نفسه، ص247.

يواصل شعراء البلاط الموحدي في الترفيع من مقام الحكام الموحدين، وإثبات أنهم محاطون بالعناية الإلهية، وحديثنا هنا عن الشاعر الجراوي، الذي نسج قصيدة في تهنئة السلطان "يعقوب المنصور" بمناسبة شفائه من المرض، يقول[1]:

وَاللَّهُ يَخْتَصُّ أَقْوَامًا بِرَحْمَتِهِ تَجْرِي بِحِكْمَتِهِ الأَرْزَاقُ وَالقِسَمِ

خَاطَ الإِلَهُ لِنَصْرِ الدِّينِ مُهْجَتَهُ وَعُوفِيتْ لَكُمُ الأَخْلَاقُ وَالشِّيَمِ

هناك شاعر آخر أظهر مغالاة كبيرة في مدحه ووصفه للسلاطين الموحدين، وهو الشاعر أبا بكر بن مجبر، هذا الأخير كتب قصيدة في مدح يعقوب المنصور"، قال فيها[2]:

لِمْ لَيْسَ يَغْلِبُ كُلُّ جَيْشٍ قَدَّتُهُ وَنَصِيرُهُ وَظَهِيرُهُ

الغَـــــــــــــــــــــــــــــــلَّابُ

وَلَكَ الحُسَامَانِ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا السَّيْفُ مَاضٍ وَالدُّعَاءُ مُجَابُ

فالحاكم الموحدي في نظر ابن مجبر مدعوم من الله تعالى، فهو يكتب له النصر على أعدائه ومناوئيه.

في مقابل ما وضعه الشعراء من قصائد وما نسجوه من أبيات، بهدف إثبات العناية الإلهية التي تحيط الحكام الموحدين، وتلتف حول جيوشهم، وتساندهم في حروبهم، فإننا نجد أن كتاب البلاط الموحدي أيضا قد كانوا على نفس القدر من المغالاة والمبالغة في المدح والوصف، حيث كانت كتاباتهم مشحونة بعبارات التعظيم والتعالي بذات السلطان الموحدي، من جملة هؤلاء الكتاب نذكر الكاتب أب و الفضل

[1] ديوان الجراوي، ص150.

[2] التجيبي، زاد المسافر، ص31.

بن طاهر بن محشرة[1]، الذي أنشأ رسالة أشار فيها إلى فكرة التأييد والعناية الإلهية، التي تحيط بمعارك الموحدين وحروبهم ضد أعدائهم، يقول"ابن محشرة" في هذه الرسالة: "... والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم... سيدنا أمير المؤمنين الذي أورثه الله خلافته وعهوده، وإختاره لأن يتم تقعيد أمره العلي وتمهيده... ونهض بأمر الله سيدنا أمير المؤمنين... وأحله من إصطفائه وإجتبائه سعيد مكانه الأرفع وحميده... بنصر راياته المظفرة وبنوده، وتوفيق يقتضي إمداده بالمعونة الإلهية وتأييده"[2].

ما يلاحظ في هذه الرسالة أنها كانت تهدف إلى تأكيد فكرة أن الله محيط بالموحدين، يساندهم ويدعمهم، وأن الله عز وجل قد جعل لهذا الحاكم النصر والتمكين، والتمام لأمره ويمده بالمعونة والتأييد، ويكتب له النصر على أعدائه.

يصر كتّاب البلاط الموحدي على إثبات فكرة الدعم الإلهي للحكام الموحدين، وهذا ما يتجسد في رسالة الكاتب ابن عطية يقول: "... والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم على أمر الله تعالى على رغم الفرق الجاحدة المنكرة، المؤيد في رفع أسباب الشنآن، والحماية عن نزعات الشيطان، بمواد المعونة المنهضة المقدرة"[3].

---

[1] أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم البجائي الأشيري، ولد سنة 540ه، استدعاه الخليفة يوسف إلى مراكش فوصله، كتب عن الخليفة يعقوب بن يوسف . ينظر: أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص206؛ وأبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد ابراهيم الكتاني و آخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ج4، ص140.

[2] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص180، 182.

[3] المصدر نفسه، ص67.

يحاول كاتب البلاط الموحدي ابن عطية وغيره من الكتّاب والشعراء، ربط تصرفات الحكام الموحدين وكل ما يصدر عنهم من قول وعمل، بالله عز وجل، وأن الله سبحانه وتعالى يؤيدهم بالمعونة والنصر، وأن الملائكة تحارب إلى جانبهم، وكل هذا بهدف الرفع والتعالي بشخص هذا الحاكم وجعله فوق كل نقد، فهو مؤيد من الله عزّ وجلّ، لذلك فان كل ما يصدر عنه هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو أمر الله تعالى.

رابعا- إستدعاء زمن الأنبياء والمرسلين:

وصلت مغالاة ومبالغة جمهور كتّاب وشعراء البلاط الموحدي في وصف ومدح الحكام الموحدين، إلى تشبيه ما يحدث مع هؤلاء الحكام من قصص ومواقف، بما حدث في زمن الأنبياء والمرسلين، ويظهر لنا هذا جليا في قصائد هؤلاء الشعراء وكتاباتهم، وفيما أنشئه الكتّاب من رسائل، ولنا فيما نسجه الشاعر ابن حربون خير دليل على قولنا هذا، يقول[1]:

نُصِرْتُمْ مِنْ أَبِي حَفْصٍ أَخِيكُمْ بِمَاضِي الحَدِّ تَعْرِفُهُ الرِّقَابُ

وَقَبْلَكُمُ اِصْطَفَى مُوسَى أَخَاهُ فَشَأْنُهُمَا وَشَأْنُكُمَا عُجَابُ

وفي هذين البيتين شبّه هذا الشاعر، الموقف الذي إختار فيه الحاكم الموحدي أبو يعقوب لأخيه أبا حفص لمساندته ومآزرته، كقصة النبي موسى ، ومؤازرة أخيه هارون -عليهما السلام- ومساندته له.

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص190؛ الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ [طه: 29-30].

يستفيض ابن حربون في تشبيه الحكام الموحدين بالأنبياء والرسل، فيقول أن هذا الحاكم قادر على غزو المسيح الأعور، وهو الدجّال الذي سيظهر في آخر الزّمان، يقول[1]:

فَإِلَيْكَ عَنْ صَنْهَاجَةَ مَا قَدَّرَهَا فِي مِثْلِكَ مَنْ يَغْزُو الْمَسِيحَ الأَعْوَرَا

يسترسل هذا الشاعر في مدح الحكام الموحدين، ومحاولة رفع مكانتهم إلى مقام الأنبياء، يقول:

أُنْظُرْ إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ كَيْفَ حَوَى مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَمْ يَحْوِ قُدَّدُ[2]

لَاقَى الْكَلِيمُ عَلَى الشَّاطِئِ بِهِ خَضِرًا وَفِيهِ لَاقَى أَخَاهُ السَّيِّدَ السَّنَدُ[3]

قصد الشاعر ابن حربون في هذين البيتين أن يشبه قصة التقاء الأميرين الموحدين، بقصة التقاء النبي موسى بالخضر –عليهما السلام–، نزيدكم علما أن لفظ السيد كان يطلق على الأمراء الموحدين.

هناك شاعر آخر بالغ بقدر ابن حربون وأكثر، وهو الشاعر الجراوي، الذي نظّم قصيدة في مدح السلطان الموحدي محمد الناصر، يقول[4]:

عَصَوْا دَعْوَةَ الْمَهْدِيِّ وَهِيَ سَفِينَةٌ فَأَغْرَقَهُمْ طُغْيَانُهُمْ وَهُوَ طُوفَانُ

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْفُ السَّمَاءِ فَأَصْبَحُوا كَأَنَّهُمْ فِي عَالَمِ الأَرْضِ مَا كَانُوا

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص252.

[2] الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: 60].

[3] الإشارة إلى قصة التقاء موسى بالخضر عليهما السلام.

[4] ديوان الجراوي، ص163.

وَمَا الجِنُّ مِمَّنْ يَرْعَوِي عَنْ تَمَرُّدٍ عَلَى حَالَةٍ لَوْلَا
النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ

وَلَمَّا دَهَى مِنْ سِحْرِ فِرْعَوْنَ مَا دَهَى أُتِيحَتْ عَصَا مُوسَى لَهُ وَهِيَ ثُعْبَانُ

لَقَدْ أَلْبَسَ اللَّهُ الخِلَافَةَ مِنْهُ جُبَّةً
بِمُلْكٍ بِهِ يَزْهَى الوُجُودُ وَيِهْزَانُ

لقد شبه الجراوي قدرة الحاكم الموحدي في السيطرة على أعدائه والقضاء عليهم، بقدرة النبي سليمان –عليه السلام– في السيطرة على الجنّ والحدّ من تمرده، وأن هذا الحاكم يمكنه القضاء على أعدائه ومعارضيه وكل من يتحداه ويواجهه، وذلك بإعتماد سيفه القاطع، الذي شبهه بعصا موسى عليه السلام، التي تحولت إلى ثعبان حتى تلقف ما صنعه السحرة.

يواصل الجراوي في ترفيع مقام الحكام الموحدين إلى مقام الأنبياء والرسل، حيث نظّم قصيدة مدح بها السلطان يعقوب المنصور، يقول[1]:

لَجَّتْ ثَمُودُ وَعَادٌ فِي ضَلَالِهِمُ وَلَمْ يَدَعْ صَالِحٌ نُصْحاً وَلَا هُودَا

أَنْتُمْ فِي المُلْكِ العَظِيمِ وَفِي طُولِ التَّهَجُّدِ فِي المِحْرَابِ دَاوُودَا

قَدْ أَبْهَجَ الدِّينُ وَالدُّنْيَا مَقَامُكُمُ وَكَيْفَ لَا؟ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مَحْمُودُ

لقد شبه هذا الشاعر أعداء الموحدين ومعارضيهم، بقوم عاد وثمود، الذين لم ينصتوا لنصح النبيين هود وصالح –عليها السلام–، كما شبه" الجراوي" هؤلاء الحاكم الموحدي بالنبي سليمان عليه السلام ذو الملك العظيم، وبالنبي داوود عليه السلام في تقواه وطول تعبده في المحراب.

[1] ديوان الجراوي، ص65، 67.

ومن جهة أخرى فان كتّاب البلاط الموحدي كذلك حرصوا على إضفاء الصفات النبوية على الحكام الموحدين، ومن هؤلاء الكتاب نذكر الكاتب أبا الحسن بن زيد الإشبيلي [1]، الذي أنشأ رسالة نيابة عن الحاكم الموحدي يوسف بن عبد المؤمن، يقول:"... والرضى على إمامنا المعصوم، المهدي المعلوم... وعن خليفته وولده وصاحبه وحواريه الإمام أمير المؤمنين الممشي لدعوته العالية، والمتمّم أنوارها، والممكّن لها في الأرض حتى عمت نجادها وأغوارها"[2].

لقد شبّه هذا الكاتب الأمير الموحدي بحواري النبي عيسى عليه السلام، وجعل من الحاكم الموحدي بمثابة نبي مرسل، أرسله الله عزّ وجلّ واصطفاه ليتمّ دعوة الإسلام، ويثبت دعائمه ويمكنّ له في الأرض.

كان كتّاب وشعراء البلاط الموحدي يكلفون بقول الشعر في حوادث معينة، وهذا التكليف يجعلهم يفتقرون إلى عنصر العفوية والصدق، بل تصبح كتاباتهم مجرد سجل تاريخي لبطولات الحكام وإنجازاتهم وانتصاراتهم.

خامسا- إعادة إنتاج زمن النبوة المحمدية:

حرص أنصار الموحدين من الكتّاب والشعراء على إعادة زمن النبوة المحمدية، حيث شبهوا بيعة الخليفة الموحدي ببيعة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، ووصفوها بأنها بيعة ميمونة مباركة، وبأن مشهدها يضمّ الدين والدنيا، وبالغ هؤلاء الكتّاب والشعراء في مدحهم إلى درجة أن شبهوا مكان اجتماع الأمير

[1] أبو الحسن علي بن زيد من أهل إشبيلية، كتب للخليفة يوسف، بعد وفاة الكاتب أبي الحسن عبد الملك بن عياش سنة 568هـ. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص110.

[2] رسائل موحدية -مجموعة جديدة- (أحمد العزاوي)، ص 140، 141.

الموحدي وحاشيته، بالكعبة الشريفة، ونمثل لهذا بما نسجه الشاعر ابن حربون حين وصف بيعة الحاكم الموحدي يقول[1]:

لِلّهِ تَشْهَدُ بيعةً بُويِعْتَهَا فَالدِّينُ والدُّنيَا بِذلِكَ المَشْهَدِ

في حَيْثُ تَرْتَكُ العَيْونَ مَهابَةً عَنْ ساطِعٍ مِنْ نُورِكَ المُتوَقِّدِ

لَمَّا تُثْبِتُ الأبْصارُ فيكَ لِمُلْتَقى لَأَلاءُ أنْوارِ الهُدَى وَ السُّؤْدَدِ

يواصل ابن حربون في حقن جرعات المدح والتعظيم بذات الحاكم الموحدي، حيث أشار إلى أنه حينما تمسّح الناس بهذا الأمير قصد مبايعته، فكأنهم تمس حوا بالحجر الأسود. يقول[2]:

وكأنَّهُمْ إنْ بايَعُوكَ تَمَسَّحوا بالقِبْلَةِ البَيْضاءِ ذاتِ الأسْوَدِ

وكأنَّما وَقَفُوا بِحَيْثُ نُزُوعُهُمْ رَجَفاتُ مُلْتَطِمِ الغَوارِبِ مُزْبِدُ

اعتبر هذا الشاعر أن مبايعة الحاكم الموحدي والتمسّح به، يماثل التمسّح بالحجر الأسود في قداسة وعظمة ذلك المشهد، وفي هذا الوصف والتشبيه مبالغة ومغالاة كبيرة.

نجد أن كتّاب وشعراء السلطة الموحدية، قد شبهوا معارك الموحدين بغزوات النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكان هؤلاء الكتّاب يسمون انتصارات الموحدين بالفتوح، على غرار الفتوحات الإسلامية، ونمثل لقولنا هذا بما نسجه الشاعر ابن حربون من قصائد في وصف معارك الموحدين وحروبهم، يقول[3]:

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص267.

[2] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص278.

[3] المصدر نفسه، ص182.

قَدْ خَصَّخَصَ الحَقُّ لَا رَيْبَ وَلَا فَنَدُ هَذِي الفُتُوحُ الَّتِي كَانُوا بِهَا وُعِدُوا

وفتوح الموحدين في نظر هذا الشاعر تنصرها الملائكة، فهي تحارب إلى جانب الموحدين، يقول[1]:

جَاؤُوا تُقَدِّمُهَا السُّعُودُ طَلَائِعًا وَتَرَى المَلَائِكَةَ العُلَى أَنْصَارَهَا

ويشير ابن حربون إلى أن الله عزّ وجلّ قد بشّر الموحدين بالفتح، مثلما بشّر النبي –صلى الله عليه وسلم–، يقول[2]:

أَبْشِرْ فَكُلُّ صَبَاحِ يَوْمٍ إِنَّمَا يَأْتِيكَ بِالفَتْحِ المُبِينِ مُبَشِّرًا

هناك شاعر آخر اتسمت أشعاره بالغلو والمبالغة، وكرّس جلّ إنتاجه في سبيل الترفيع والتعظيم بشخص الحاكم الموحدي، وهذا الشاعر هو الجراوي، الذي شبّه معارك الموحدين بغزوات النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، يقول[3]:

أَخَلِيفَةَ المَهْدِيِّ دُمْتَ مُؤَيَّدًا بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا مِنَ الكُفَّارِ

ويضيف قائلا[4]:

مُعِزَّ الهُدَى، مُعْلِيهِ، حَامِي ذِمَارِهِ يُجِيرُ عَلَى أَعْدَائِهِ البَرَّ

وَالبَحْرَ

---

[1] المصدر نفسه، ص191.

[2] ديوان أبي عمر أحمد بن حربون الشلبي الأندلسي، تح: سليمة بنعمر، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2009-2010م، ص188.

[3] ديوان الجراوي، ص89.

[4] المصدر نفسه، 94، 97.

مُـــــــــــــــغـــــــــــــــانٌ

بِأمْـــــــــــــــــــــذادِ المَلائِـــــــــــــــــكِ، منزَلٌ من
المعقَــــــــــلِ الأسْمَى

مِنَ ـــــــــــــــــــــــاوِيُـــــــــــــــهُ قسْرًا

أَغَــــــــــــــــــــــــــــــاث بـــــو الَلْـــــــــــــــهُ
البـــــــــــــلادَ وأدْــــــــــــلــــــــــــــــــــهَا وَصَيَّرَ غَايَاتِ
الفُتـُـــــــــــــــــــــوح لَـــــــــــــــــــــــــــــهُ
إذّخـــــــــــــــــــــرًا

بيمْنِ الإمامِ الصالحِ الُمصلِحِ الرِضــــــــــا نضَى سَيْفهِ الإسْلامُ فاستأصلَ
الكُفْـــــــــــــــرًا

فـــــــــــــــلا زَالَ بالنصْــــــــــــــــــــــــــــرِ
الإلَـــــــــــــــهي يقتضِي بَشائِرَ تُحصَى قبلَ إحْصائِهَا
القَطْـــــــــــــــــــرًا

حاول هذا الشاعر إثبات أن الحاكم الموحدي هو حاكم مؤيد من الله عز وجل، وأن الله عزّ وجلّ هو الذي كتب لهذا الحاكم النصر وبشره بالفتح، وأن الملائكة تحارب معه، مثلما كانت تحارب مع الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

في إطار التعالي بشخص الحاكم الموحدي ومحاولة إعادة زمن النبوة المحمدية، فإن كتّاب الحاكم الموحدي، قد حرصوا بدورهم على تشبيه زمن الموحدين بزمن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، ونمثل لهذا بما أورده الكاتب

أبو القاسم القالمي [1] في رسالة قال فيها: "... ونسأل الرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، المجدد لدينه عندما عاد غريبا كما بدأ غريبا... وعن صاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين مؤازرة... ووارث مقامه الكريم، وأهليه القيام بأمره العظيم منصورا ومفتوحا ومصيبا"[2].

ومن الكتّاب الآخرين الذين حاولوا الترفيع من مقام الحاكم الموحدي نذكر ابن صاحب الصلاة، الذي شبّه معارك وحروب الموحدين بغزوات النبي –صلى الله عليه وسلم–، بل أنه كان يطلق على هذه المعارك اسم غزوات، يقول: "وفي هذه الغزوة السعيدة غزوة الجبل أمر السيد الأعلى أبو حفص رضي الله عنه"[3].

ويبالغ هذا الكاتب في تعظيم انتصارات الموحدين، فيطلق عليها اسم الفتوح، يقول: "ولما انصرف الأمير الأجل الأعدل من فتح جبال غمارة غالبا منصورا"[4].

ما يمكن استخلاصه مما سبق أنّ أنصار الموحدين من الكتّاب والشعراء يسعون إلى إعادة إنتاج زمن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وذلك من خلال تشبيه بيعة الحكام الموحدين، ببيعة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وجعل معارك الموحدين وحروبهم كغزوات النبي عليه الصلاة والسلام وفتوحاته.

وكل هذا بهدف إضفاء سمة العظمة والقداسة على ذات الحاكم الموحدي، كما سعى هؤلاء الكتّاب والشعراء إلى رسم صورة مثالية عن هذا الحاكم، المؤيد بالنصر الإلهي، وأن الله عز وجل هو من يسدد خطى هذا الحاكم ويوجهه، لذلك فكل ما

---

[1] أبو القاسم عبد الرحمن القالمي من قالمة، ولما فتح عبد المومن بجاية استكتب القالمي، كتب عدة رسائل عن الخليفة عبد المؤمن. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص200.

[2] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص121.

[3] ابن صاحب الصلاة، تمن بالإمامة، ص255.

[4] المصدر نفسه، ص247.

يصدر عن هذا الحاكم من قول أو عمل هو الحق الذي لا يمترى فيه، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، لذلك فلا يجوز عصيان هذا الحاكم أو معارضته، لأن ذلك يعتبر بمثابة عصيان لله عزّ وجلّ، وامتناع عن الامتثال لأمره سبحانه وتعالى.

الفصل الثالث:

التعالي بالسياسي

في صورة مماهاة بين الذات السلطانية والذات الإلهية

أولا: الهادي الرشيد

ثانيا: العليم الحكيم

ثالثا: الرزاق الوهاب

رابعا: الغفور الرحيم

خامسا: العظيم المتعال

حرص كتّاب وشعراء البلاط الموحدي على خلق صورة مثالية حول الحاكم الموحدي، صورة تظهره كشخص له من الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة ما يجعله أنموذج للحاكم المثالي والمناسب لحكم الرعية، وهذا ما جعل كتابات هؤلاء الكتّاب والشعراء تفيض بصور المدح والوصف، إذ كانوا يسعون دوما إلى تحقيق هدف واحد وهو توشية الحاكم الموحدي بالسمات الرفيعة كالصدق والإخلاص، الكرم والجود، العدل والإنصاف، وغيرها من الفضائل.

بعدها انتقل هؤلاء الكتّاب والشعراء إلى مرحلة متقدمة في وصفهم ومدحهم للحاكم الموحدي، إذ تحول هذا الحاكم في هذا المقام إلى نبي مرسل، فقد قام كتّاب وشعراء البلاط الموحدي باستعارة الصفات النبوية لهذه للذات السلطانية، فقد شبّهوا الحكام الموحدين بالأنبياء والرسل، فجعلوا لهم العصمة والإمامة، التأييد والنصر، شبهوا قصص هؤلاء الحكام بقصص الأنبياء، وحاولوا استعادة زمن النبوة المحمدية فأطلقوا على معاركهم لفظ الغزوات.

بعدها انتقل هؤلاء الكتّاب والشعراء إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ وصل بهم المدح إلى أن خلقوا مماثلة بين الذات السلطانية والذات الإلهية، فقد رفعوا الحاكم الموحدي إلى مقام الإله، وجعلوا له ملك السموات والأرض، أكدوا على أنه هو الهادي الرشيد، العليم الحكيم، الرازق الوهاب، وفوق كل هذا فقد جعلوا منه الغفور الرحيم.

أولا- الهادي الرشيد:

كانت صفة الهداية والإرشاد من الصفات التي تغنى بها كتّاب وشعراء البلاط الموحدي، وحاولوا إضفاءها على السلاطين الموحدين، فقد شبّهوا هداية الحاكم الموحدي لرعيته بهداية الله عز وجل لعباده، ونمثّل لقولنا هذا بما نسجه الجراوي من قصائد، إذ له قصيدة مدح بها السلطان الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، يقول[1]:

يَهْدِي وَيَهْدِي مُنْعِمًا وَمُعَلِّمًا لَازَالَ مِنْهُ الْهَدْيُ وَالإِهْـــــــــــدَاءُ

لقد حاول هذا الشاعر أن يسبغ صفة الهداية والإرشاد على ذات هذا الحاكم، وأنه هو الهادي إلى الصراط السوي والصراط المستقيم.

يضيف "الجراوي" قائلا[2]:

مَدْحُ الإِمَامِ عِبَادَةٌ نَـــــــرْجُوا بِـــــــــــهَا عِزَّ الحَيَـــــــــــاةِ وَأَنْ نَفُـــــــــــوزَ مَـــــــآبَا

مَدَائِحُهُ فِي الحَـــــــالِ عِزٌّ وَرِفْعَـــــــــــةٌ وَفَوْزٌ عَظِيمٌ فِي المَآلِ وَرِضْـــــــــــوَانِ

إِذَا مَا تَجَلَّى أَوْ جَرَى ذِكْرُ مَجْدِهِ فَثَمَّ مَـــــــــا تُعْـــــــــطَى عُيُـــــــــونٌ وَآذَانُ

أمّا من كتّاب البلاط الموحدي الذين ساروا على نفس الدرجة في المدح وصف الموحدين وتعظيمهم ومحاولة خلق هالة تقديسية حولهم، نذكر الكاتب أبا جعفر بن

---

[1] ديوان الجراوي، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص43، 164.

عطية، الذي قال في رسالة أنشأها: "... والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، وليّه الذي تقبل سبل الهداية واقتفاها، وأقام رسوم الشريعة على رغم من جحدها ونفاها"[1].

تُظهر هذه الرسالة حرص كتّاب وشعراء البلاط الموحدي على التأكيد على أن السلطان الموحدي هو الهادي لرعيته إلى برّ الأمان وإلى سبيل النجاة والفوز.

كان الشاعر أبو العباس الجراوي يرفع من مقام الحاكم الموحدي في كل مناسبة، في بيعته وانتصاراته... وغيرها من المناسبات.

يضيف الجراوي قائلا[2]:

مَنْ لَيْسَ مُعْتَقِدًا إيجابَ طَاعَتِكُمْ فَلَيْسَ يُغْنِيهِ إيمَانٌ وَتَوْحِيدُ

رِضَاكُمُ الدِّينُ وَالدُّنْيَا، وَعَدْلُكُمُ ظِلٌّ ظَلِيلٌ عَلَى الأَيَّامِ مَمْدُودُ

مَنْ قَامَ لِلْإِسْلَامِ مِثْلَ مَقَامِهِ يَكُنْ شُكْرُهُ فَرْضًا وَأَمْدَاحُهُ ذِكْرَا

أنصار الموحدين من الكتّاب والشعراء لم يتكاسلوا مطلقا في مسألة التّرفيع من مكانة السلاطين الموحدين، إذ أنهم ألّفوا دواوين شعرية تصف فضائل هؤلاء السلاطين، وكانت أقلامهم تتمايل وفقا لرغبتهم ولأهوائهم.

ثانيا– العليم الحكيم:

[1] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، 124.

[2] ديوان الجراوي، ص67، 95.

إنّ المُطّلع على مؤلفات كتّاب البلاط الموحدي يجدها تفيض بعبارات المدح والإجلاء للذات السلطانية، إذ أن المتمعّن في هذه الكتابات يلاحظ كيف أن هؤلاء الكتّاب والشعراء قد انتقلوا من مرحلة إضفاء السمات الرفيعة والأخلاق الفاضلة على شخص الحكم الموحدي، إلى مرحلة أبعد بكثير من ذلك، إذ وصلت بهم جرعات المدح إلى خلق مماثلة بين الذات السلطانية والذات الإلهية، إذ حاول هؤلاء الكتّاب والشعراء نسب الصفات الإلهية إلى هذه الذات السلطانية، وكانت صفة العليم الحكيم من بين تلك الصفات، ونمثل لقولنا هذا بما نسجه الشاعر ابن حربون، يقول[1]:

إنّ الخلائقَ لمْ تُبْنَى أسْرارَهُ إلاّ
لِهذا النّجْلِ أوْ هذا الأبِ

لوْلاهُمُ لغَدا الورَى في حيرةٍ
تَرْمي بِهِمْ منْ غَيْهَبٍ في غَيْهَبِ

يستفيض هذا الشاعر[2]:

بِيُمْنِكُمْ أنْجَحَ المَطْلَبُ
وأعْطَى مقَادتِهِ المُصْعَبُ

وأشْرَقَتْ الأرْضُ منْ نُورِكُمْ فلَمْ يَبْقَ في أُفُقٍ غَيْهَبُ

أمّا الجراوي فقد وصف السلاطين الموحدين بالعلم والحكمة، وأنّ الزمان لم ينجب مثيلا لهم، يقول[3]:

---

[1] ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص269.

[2] المصدر نفسه، ص278.

[3] ديوان الجراوي، ص85.

لَمْ تَأْتِ بِمُشْبِهِكَ الأَيَا مُ وَلَا وَلَـدَتْهُ وَلَا تَلِـدُ

مَـلِكٌ أَنْوَارُ بَصِيـرَتِهِ وَمَنَـاقِبُهُ سُرُجٌ تَقِـدُ

أَثْوَابُ الدِّينِ بِهِ جُـدُدُ وَسَبِيلُ الحَقِّ بِهِ جُدُدُ

ومن الكتّاب الذين كانوا يتفاخرون بالحاكم الموحدي وينسبون إليه أنبل الأسماء وأعظم الصفات الإلهية، الكاتب أبا جعفر بن عطية، الذي يقول في رسالة كتبها: "... وتواصل الرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم... فجلى بضياء حكمته ما استولى على آفاقها من الظلم المشتدة الاعتكار"[1].

يؤكد الشاعر أبـو حفص الأغماتي على أنّ السلطان الموحدي له من العلم والحكمة ما يجعله قادر على حمل السلطة والحكم بين الرعية، حيث نظم قصيدة مدح بها السلطان يوسف بن عبد المؤمن يقول[2]:

فُـؤَادُهُ بِضِيَـاءِ العِلْـمِ مُنْشَـرِحٌ وَوَجْـهُـهُ بِجَمَـالِ النُّـورِ مَوْسُومُ

العِلْـمُ قِيمَتُـهُ، وَالحِلْـمُ شِيمَتُـهُ طَابَـتْ أَرُومَتُـهُ وَالنَّفْـسُ وَالخِيَـمُ

[1] مجموع رسائل موحدية (ليفي بروفنسال)، ص126.

[2] المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1980،ج2، ص362.

لِطَالِبِي العِلْـــــــــمِ مَـــــــا شَـــــــــاؤُوا بِخِدْمَتِـــــــــــهِ غِنًى
وَعِزٌّ بَحْرِهَـــــــــــاهُمٌ وَإِرْشَادٌ وَتَعْلِيمُ

فيما ذهب الشاعر أبو جعفر بن سعيد العنسي إلى أبعد من ذلك، إذ جعل الدّهر والزمان يلجأ إلى نصيحة هذا السلطان، يقول[1]:

تَكَلَّمْ فَقَدْ أَصْغَى لِقَوْلِكَ الدَّهْـــــرُ وَمَـــــا لِسِوَاكَ اليَوْمَ نَهْيٌ وَلَا أَمْرُ

ما يلاحظ حول هذه الأبيات أنّ صيغ المبالغة في المدح والتعظيم ظاهرة بشكل يؤكد على حرص هؤلاء الكتّاب والشعراء على بذل كل ما يمكن حتى تكون صورة الحاكم الموحدي في مخيال رعيته؛ من أنقى وأفضل الصور.

[1] مؤلف مجهول، الحلل الموشّية في ذكر الأخبار المراكشيّة، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص 155.

ثالثا- الرزاق الوهاب:

حرص كتّاب وشعراء البلاط الموحدي على ترسيخ فكرة أن الحاكم الموحدي هو الرزاق الوهاب، ومن هنا فقد كانت كتاباتهم تغرّد بنغمات تطرب الأسماع وتأسر القلوب، نغمات عن كرم وجود السلاطين الموحدين، إذ لهم القدرة على استدرار الغيث، وتخصيب الأرض وزيادة نمائها وعطاءها، ونمثل لقولنا هذا بما نظمه الشاعر ابن حربون، والذي يقول[1]:

لَـهُ رَاحَـــــــــــــــــــــــةٌ لَـــــوْ أَنَّ لِلْمُـــــــــــــــــــــــزْنِ
جُـــــــــــــــودَهَا لَمَا سَارَ يَبْغِي الخِصْبَ فِي الأَرْضِ رَائِدُ
وَطَـــــــــــــــبْـــــــــــعٌ تَمَنَّـــــــــى الرَّافِـــــــــــــــــدَانِ
لَـــــــــــوْ أَنَّـــــــــــــــهُ
يُمِـــــــــدُّهُ ـــــــــــــــــــــــــــمَا مِنْـــــــــــــــــهُ
بِعَـــــــــــــــــــــــيْنِ رَاقِـــــــــــــــــــــــــدُ

أراد هذا الشاعر أن يثبت أتصاف السلطان الموحدي بصفة الكرم والعطاء، وأنه هو الرزاق الوهاب، بل وصل إلى أبعد من ذلك إذ شبهه بالله عزّ وجلّ وماثل بين رزق الله لعباده وجود السلطان الموحدي مع رعيته.

أما الشاعر أبو العباس الجراوي فقد جعل للحاكم الموحدي القدرة على إنزال المطر، وإخراج نبات الأرض وكل ما تجود به من رزق ونعم[2]:

مَـــــا شَامَ بَرْقٌ جَبِينِهِ مُسْتَرْفِـــــدٌ إِلاَّ اسْتَهَلَّـــــــــــــــــتْ كَفُّـــــــــــــــهُ أَنْـــــــــــــــــوَاءُ

[1] ابن صاحب الصلاة، تمن بالإمامة، ص176.
[2] ديوان الجراوي، ص26.

في حين أن الشاعر أبو بكر بن مجبر يرى أن الإحسان والكرم والرزق ينهمل من يدي هذا السلطان، وأكد على قوله هذا في قصيدة مدح بها السلطان يعقوب المنصور، يقول هذا الشاعر[1]:

أَوْدَعَ الإِحْسَانُ صَفْحَتَـــــهُ ماءٌ بَشِيـــــــــــرٌ يَنْفَعُ العِلَـــــــلَا

فَإِذَا مَـــا الجُـــــــــــودُ حَرَّكَـــــــــهُ فَاضَ فِي يُمْنَاهُ فَانْهَمَلَا

أمّا كتّاب، فقد عمدوا أثناء رسمهم لصورة الحاكم الموحدي إلى إظهاره بمظهر الرازق الوهاب، وهذا ما نلاحظه في رسالة أنشأها الكاتب أبو الحسن القلني، يقول: "... الحضرة الإمامية العالية، المعظمة المكرمة، المقدسة الطاهرة السامية... سلام كريم طيب مبارك عميم، على حضرة الإمامة ومثابة الخلافة ومقرّ الرحمة ومعهد النعمة من ندوتها القدسية الطاهرة، ورحمة الله تعالى وبركاته"[2].

لقد جعل هذا الكاتب من الحاكم الموحدي مصدرا للأرزاق والنعم.

رابعا- الغفور الرحيم:

كانت صورة غفران الذنوب والرأفة والرحمة بالعباد، من بين الصور التي وظفت في المماثلة بين الذات الإلهية والذات السلطانية، إذ نجد أن كتّاب وشعراء البلاط الموحدي قد شبّهوا الحاكم الموحدي بالله عزّ وجلّ، الذي يغفر الذنوب ويرحم عباده، إذ نجد الشاعر الجراوي يحاول إثبات هذه المماثلة، يقول[3]:

فَعَفَوْتَ عَفْوَ القَادِرِينَ تَكَرُّمًا عَنْهُمْ وَعَفْوَ القَادِرِينَ جَمِـيلُ

---

[1] التجيبي، زاد المسافر، ص32.

[2] رسائل موحدية مجموعة جديدة (أحمد العزاوي)، ص200.

[3] ديوان الجراوي، ص131.

هناك شاعر آخر ذهب إلى أبعد من ذلك، ومرادنا هنا هو الأديب والشاعر أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي [1]، الذي نظّم قصيدة يستعطف فيها الأمير أبو الربيع سليمان، ويعتذر إليه ويطلب منه الصفح والمغفرة، يقول[2]:

أَسَيِّدَنَا هِبْ لِـــــي رِضَـــــــــــــــــاكَ وَلَاقِنِـــــي بِصَفْحَةِ
غَـــفَّارِ الذُّنُـــــــــــــــــوبِ صَفُـــــــــــــــوحُ

أَرَى مَـــــدَدًا لَا يَنْقَضِـــــــــــــــــينَ وَلَيْسَ لِـــــــي
تَصَبُّـــــــــــــــــــرٌ أَيُّـــــــــــــــــوبَ
وَمَـــــــــــذْهُ نُـــــــــــــــــوحُ

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْـــــــــــتُ أَنِّـــــي لَمُنْطَوِي عَلَى تَـــــوْبَـــةٍ
تَمْحُـــــــــــو الذُّنُوبَ نَصُوحُ

وَمَا قَدَّرْ ذَنْبِي فِي ذُنُوبٍ غَفَرْتَـــــهَا أُعِيـــــــدُ نَظَـــــــــــــــــرًا فِي
مُخَلِّـــــــــــــــــصٍ وَتَصَـــــــبُّرِ

بِسِمَى الَّذِي لَا يَنْبَغِي مِثْلَ مُلْكِهِ لِأَعْجَـــــــــــــــــمَ فِي
الدُّنْـــــــــــــــــيَا وَلَا لِفَصِيـــــــــــــــــحِ

يظهر الشاعر أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي في صورة العبد الذي عصى ربّه وأذنب، والذي ابتعد عن طريق الحق، لذلك فهو نادم على ذنوبه، ويطلب العفو والصفح والمغفرة من الأمير الموحدي، وبهذا يكون هذا الشاعر قد وضع الحاكم الموحدي في مقام الله عز وجلّ.

[1] صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التجيبي المرسي، كنيته أبو بحر، ولد سنة 560ه بمرسية، ونشأ بها، من فحول شعراء الأندلس وأدبائها. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج6، ص365.

[2] مؤلف مجهول، نيل زاد المسافر، ص321.

ومن الكتّاب الذين آمنوا بفكرة أن الحاكم الموحدي هو في مقام الإله، الذي يغفر الذنوب، ويتوب على عباده، ويعفو ويصفح، نجد الكاتب أبو جعفر بن عطية، الذي نظم قصيدة استعطف فيها السلطان "عبد المؤمن"، يقول[1]:

عَطْفًا عَلَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَدْ بَانَ الْعَزَاءُ لِفَرْطِ
الْبَثِّ وَالْحَرَثِ

قَدْ أَغْرَقَتْنَا ذُنُوبٌ
كُلُّهَا لُجَجٌ وَعَطْفَةٌ مِنْكُمْ
أَنْجَى مِنَ السُّفُنِ

وَصَادَفَتْنَا سِهَامٌ كُلُّهَا
غُرَضٌ وَرَحْمَةٌ مِنْكُمْ
أَوْفَى مِنَ الْجُنَنِ

مَنْ جَاءَ عَنْكُمْ يَسْعَى عَلَى
ثِقَةٍ بِنَصْرٍ لَمْ يَخَفْ بَطْشًا
مِنَ الزَّمَنِ

فَالثَّوْبُ يُطَهِّرُ عِنْدَ الْغَسْلِ مِنْ دَرَنٍ وَالطَّرْفُ
يَنْهَضُ بَعْدَ الرَّكْضِ فِي السَّنَنِ

[1] أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1973، ص124.

يضيف قائلا:

أنُوحُ عَلَى نَفْسِي أَمْ أَنْتَظِـــــــــرُ الصَفْحَـــــــا فَقَدْ آنَ أَنْ تُنْسَى الذُنُوبُ وَأَنْ تَمْـــــــــــحَى

فَهَا لِدَافِي لَيْـــــــــــلِ مِنَ السُخْـــــــطِ خَائِـــــــــــرٌ وَلَا أَهْتَدِي حَتَّى أَرَى لِلرِضَا صُبْحَـــــــــــا

لقد جعل هذا الكاتب من الحاكم الموحدي إله وأخذ يستعطفه ويطلب منه الصفح والمغفرة، ووصفه بالغفور الرحيم، إضافة إلى هذا فقد حشد هذا الكاتب الكثير من الألفاظ والعبارات التي ترقّ لها القلوب من شدّة ما حملته من صور الندم والتوبة.

ولم يكتف هذا الكاتب بنسج هذه القصيدة فحسب، بل كتب أيضا رسالة استعطاف، يقول: "تالله لو أحاطت بي كل خطيئة ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة حتى سخرت بمن في الوجود وأنفت لآدم في السجود وقلت أن الله تعالى لم يوحي في الفلك لنوح... وذممت كل قرشي وأكرمت لأجل وحشي كل حبشي... ثم أتيت حضرة المعصوم لائذا، ويقبر الإمام المهدي عائذا... لقد آن لمقالتي أن تسمع وتغفر لي هذه الخطيئات أجمع من أنني مقترف و بالذنب معترف"[1].

خامسا- العظيم المتعال:

يسعى كتّاب وشعراء البلاط الموحدي إلى إظهار الحاكم الموحدي بصورة شخصية عظيمة مقدسة، نستدل على ذلك بما نسجه الشاعر ابن حبوس من قصائد تظهر عظمة هذا الحاكم ومكانته العالية، يقول[2]:

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج3، ص100-101.

[2] التجيبي، زاد المسافر، ص26.

أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَضَاءَ الـــ ـــــزَّمَانُ بِنُورِ عَدْلِكَ وَاسْتَنَـــــــارَا

لَكُمْ شَرْقَا البِلَادِ وَمَغْـــــرِبَـــــــاهَا وَأَمْرُكُمْ مَعَ الـــفُلْكِ اسْتَـــــــدَارَا

يَسِيرُ إِلَيْكُمْ مِنْ نَاءٍ عَنْكُمْ يَدُورُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَيْثُ دَارَا

لقد حاول هذا الشاعر أن يبرز عظمة الحكام الموحدين وأن ملكهم في الأرض قد انبسط مشرقا ومغربا، وأن أعدائهم لو حاولوا الفرار منهم، إذ شبه هذا الشاعر ملك السلاطين الموحدين بما لله عز وجل من ملك.

أما الشاعر أبو الوليد القسطلي، فقد نظَم قصيدة مدح بها السلطان يعقوب المنصور، يقول[1]:

لَكُمْ البَسِيـــــــطَةُ أَرْضَـــــــهَا وَمِيَاهَـــــــهَا وَتَجْرِي الجِيَادُ وَيَسْبَحُ الأُسْطُولُ

لقد جعل هذا الشاعر من ممدوحه إله ا، له ملك السموات والأرض، وأنه قادر على كل شيء.

فيما أثبت الشاعر أبو الوليد القسطلي أن الحاكم الموحدي له ملك السموات والأرض، فان الشاعر الجراوي جعل الجنّ والإنس تعمل تحت تصرف هذا السلطان، يقول[2]:

عَنْ أَمْرِكُمْ يَتَصَرَّفُ الثَّقَـــــــــلَانِ وَبِنَصْرِكُمْ يَتَعَاقَبُ لَمْلَـــــــــــوَانِ

[1] التجيبي، زاد المسافر، ص34.

[2] ديوان الجراوي، ص160.

وبِمَا يَسُـــــــــوءُ عَدُوَّكُمْ ويَسُرُّكُـــــــــمْ تَتَحَرَّكُ الأَفْلَاكُ فِي الـــــــــدَّوَرَانِ

لقد شبه "الجراوي" بطش الحاكم بأعدائه ببطش الله عزّ و جلّ، حيث نظّم قصيدة وصف فيها حالة أعداء الموحدين، يقول[1]:

فَهُمْ عَلَى التُّـــــرْبِ صَـــــــــــــرْعَى مِثْلَهُ عَـــــــــــــــدَدًا أَنْ كَانَ يَقْضِي بِـــــأَنَّ التُّــــــــــــــــــرْبُ مَعْـــــــــــــــدُودُ

وَلَّوا فَلَا صَاحِبٌ عَنْ نَفْسِ صَاحِبِهِ يُغْنِي وَلَا وَالِـــــــــــــدٌ يَـــــــــــــــرْجُـــــــــــــــوهُ مَـــــــــــــــوْلُـــــــــــــــودُ

لقد أشار شاعر البلاط الموحدي في هذين البيتين إلى مآل المعادين للموحدين، إذ أنهم صرعى ملقون على الأرض، ولكثرتهم فقد شبههم بالتراب، ولم يقف عند هذا الحد في وصف قوة وعظمة السلاطين الموحدين، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث شبّه يوم التقاء جيوش الموحدين بأعدائهم، بيوم القيامة، يوم لا يغني والد عن والده شيء، ولا صاحب عن نفس صاحبه مغني ونافع.

أسهم الكاتب أبو المطرف بن عميرة بدوره في تلميع صورة الحاكم الموحدي، وذلك من خلال رسالة أنشأها، بحيث يقول: "الحضرة الإمامية العلية المقدسية الطاهرة المباركة"[2].

1 المصدر نفسه، ص66.

2 رسائل موحدية -مجموعة جديدة- (أحمد العزاوي)، ص397.

يظهر لنا جليا من خلال مقدمة هذه الرسالة أن كتاب البلاط الموحدي يحرصون على بذل كل الطاقات التي تساعد في الترفيع والتعظيم بالذات السلطانية.

ما يستخلص من هذا الفصل هو أنّ ما ألفه كتّاب وشعراء البلاط الموحدي، يتّسم بالمبالغة والمغالاة الشديدة، بحيث كانت هذه الكتابات بمثابة لوحات فنية متناهية الروعة، دقيقة التشكيل والإبداع، رسمتها أنامل كتّاب وشعراء، بأمر من السلاطين، هادفين من ورائها إلى تزيين متحف الموحدين، وزيادة روعته وبهاءه، ليكون هذا المتحف مقصدا للسيّاح من المؤرخين والباحثين وقرّاء وهوّاة، ولكن هذه اللوحات كانت مجرد أحلام، كانت تراود هؤلاء السلاطين، ويسعون لتحقيقها على أرض الواقع، لكن للقدر كلمته، وللسياسة إستراتجياتها، وللنفس أوامرها، وللطمع حضوره، وبذلك كان واقع التاريخ الموحدي يخالف ما صورته تلك اللوحات.

الخاتمـــــــة

من خلال معالجتنا لهذا الموضوع ذي الدلالة السياسية الرمزية، يمكننا الزعم أنّنا قد خلصنا إلى النتائج الآتية:

- ✓ أنّ كتّاب وشعراء البلاط الموحدي قد مدحوا السلاطين الموحدين في كل المناسبات؛ بحيث كانت مؤلفاتهم عبارة عن سجل تاريخي يخلد إنجازات وانتصارات هؤلاء السلاطين.
- ✓ أنّ كتابات هؤلاء الكتّاب والشعراء كانت تفيض بعبارات المدح والوصف؛ وقد شكلت مجموعة من اللوحات الفنية العجائبية ، التي تظهر الحاكم الموحدي في أحلى صورة، وأبهى حلّة.
- ✓ أنّ الروح الدعائية كانت طاغية على كتابات هؤلاء الكتّاب والشعراء، إذ قد حرصوا -على نحو لافت- على إثبات النسب الشريف لداعية الموحدين، كما النسب القرشي لخلفائه.
- ✓ أنّ أنصار الموحدين من الكتّاب والشعراء قد بالغوا في التّرفيع من مكانة الحاكم الموحدي؛ فقد تباروا في صنع هالة تقديسية حول هذا الحاكم، وكل هذه المبالغة في الوصف والمدح كانت بهدف ضمان رضى الحاكم ، وبالتالي تحقيق غايات شخصية، وكسب العطايا والدعم من الحاكم.
- ✓ أنّ ما اصطنعه هؤلاء الكتّاب والشعراء من صور أسطورية من أجل تحقيق غايات وأهداف سياسية، يبدو في كثير مما جاء به، مفارقا لمنطق العقل البشري والواقع التاريخي.
- ✓ أنّ ما ذهب إليه هؤلاء الكتّاب والشعراء من ترفيع وتعال وتقديس للذات السلطانية؛ هو محاولة لخلق الزعيم العجائبي الأسطوري الذي تنشده الرعية.

✓ أنّ هدف الحاكم الموحدي من وضع هؤلاء الكتّاب والشعراء تحت طلبه، ورهن إشارته، وتكليفهم بالكتابة عنه؛ هو حرصه الشديد على رسم صورة مثالية لنفسه، من شأنها أن تضمن عدم تعرضه لأي نقد، إضافة إلى ضمان بقاء الواقع كما هو، وتخصيصه بنظرة من شأنها أن تؤدي إلى الخضوع والامتثال له.

نستنتج من كل ذلك، أنّ كتّاب البلاط الموحدي وشعراءه قد حرصوا على إضفاء السمات الرفيعة على الحاكم الموحدي، و ما فتئت تزداد جرعات المدح إلى أن وصلت بهم إلى حد تشبيه هذا الحاكم بالأنبياء والرسل؛ وفي هذا مبالغة شديدة الوطأة، بل لم يقف هؤلاء الكتّاب والشعراء عند هذا الحد من الغلو والمبالغة؛ بل تعدوه إلى أبعد من ذلك، لما خلقوا مماثلة بين الذات السلطانية والذات الإلهية.

ولا شك في أن مثل هذه المماثلة بين الله والخليفة، التي بدأت منذ العصر الأموي، و تفاقمت في العصر العباسي ، وأصبحت جزءا من الذهنية الإسلامية، شيعيها وسنيها، هي مناقضة لمبدأ العدالة، لأنها تنزّه السلطان عن كل خطأ، وتجعله يفلت من العقاب في حالة ارتكابه فسقا أو خروجا عن جادة الشريعة.

ولقد أدت مسألة المماثلة بين الله والخليفة، التي لا يزال العقل إلى اليوم مسكونا بها، إلى ترسيخ نتيجة خطيرة، تركت بصماتها في مسار العدالة، وهذه النتيجة تتمثل في تضييق مساحة حرية التعبير والنقد، إذ لا يمكن معارضة القرارات التي يتخذها السلطان، فهو خليفة الله في الأرض، والسلطة الناطقة، والمنفذة باسم السماء.

إن إشكاليتنا، والتي تبلورت في عنوان "التعالي بالسياسي في الغرب الإسلامي على عهد الموحدين.. كتّاب وشعراء تحت الطلب"؛ لا يمكن أن تكون قد أفضت إلى منتهاها، دون أن تتولد عنها مزيد أسئلة وإشكالات، من قبيل:

-أي الخطابات كان أكثر تأثيرا في تشكيل المخيال السياسي الجمعي: الخطاب الأدبي، أم الخطاب الفقهي، أم الخطاب المنقبي؟ وما هي الآليات التي اتكأ عليها كل خطاب في تشكيل ذلك المخيال؟

-هل يمكن عد الخطاب الأدبي المسكون بالهاجس السياسي مكافئا للخطاب السياسي الذي تعبر عنه مدونة "آداب الملوك"، وهل يفترقان في الهدف والغاية، أم أن كلا منهما مكمل للآخر؟

-هل يصح أن نحمّل الخطاب الأدبي كل ذلك الزخم من الدلالات التي عثرنا عليها فيه؛ وإن ببعض تأويل، أم أن الأمر جاء عفو الخاطر الشعري، ولا يسوغ تحميله كل تلك الغايات والمقاصد السياسية؟

الورّاقيـــــــة

- **القرآن الكريم** (رواية ورش عن نافع)

I- المصادر:

-ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت 658هـ/ 1260م): **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م، ج1، ج4.

-البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت 555هـ؟/1160م؟): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

-التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس (ت 596هـ/1201م): زاد المسافر وغرّة الأدب السافر، تح: محمد بنشريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2012م.

-الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي (ت 609هـ/1212م): ديوان الجراوي، تح: علي إبراهيم كردي، ط1، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، 1994م.

-ابن حربون، أبو عمر أحمد الشلبي الأندلسي (ت 570هـ/1174م): ديوان ابن حربون، تح: سليمة بنعمر، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2009-2010م.

-الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم السبتي (ت 727هـ/ 1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تح: إحسان عباس، بيروت، لبنان، 1984م.

-ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، ج1.

-ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 1340/741م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

-الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (حي سنة 894هـ/1489م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

-ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (حي سنة 594هـ/1198م): المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

-عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت 647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.

-ابن عذارى المرّاكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (حي سنة 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ج4.

-ابن غازي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكتامي المكناسي (ت 919هـ/1513م): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، 1952م.

-الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي (ت 704هـ/1305م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

-ابن القاضي، أبو العباس أحمد ابن محمد المكناسي الفاسي (ت 1025هـ/1616م): جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

-كتّاب الديوان: مجموع رسائل موحدية، تح: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941.

-كتّاب الديوان: رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، تح: أحمد العزاوي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، 2001م.

-المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت 1041هـ/1632م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1980، ج2.

-المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت 1041هـ/1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، ، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ج3.

-مؤلف مجهول (حي سنة 783هـ/1381م): الحلل الموشّية في ذكر الأخبار المراكشيّة، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

-مؤلف مجهول (ق 07هـ/13م): ذيل زاد المسافر، تح: محمد بن شريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2012م.

-مؤلف مجهول (حي سنة 712هـ/1312م): مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2005م.

II- المراجع:

-بوتشيش، إبراهيم القادري: خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، ط1، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014م.

-الجويلي، محمد: الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس، دار سراس للنشر، تونس، 1992م.

-العبد الكريم، محمد: تفكيك الاستبداد-دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب-، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2013م.

-عبد اللطيف، كمال: في تشريح أصول الاستبداد -قراءة في نظام الآداب السلطانية-، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1999م.

الكشافات

01- كشاف الأبيات الشعرية

02- كشاف الأعلام البشرية

01- كشاف الأبيات الشعرية

الروي	شطر البيت الشعري	الصفحة
الهمزة	مَا شَكَّ ذُو النَظَرِ الصَحِيحِ وَلَا امْتَرَى	23
الهمزة	ضَرَبَتْ عَلَيْكَ لِوَاءَهَا العَلْيَاءُ	25
الهمزة	وَقَضَى الذِي أَعْطَاكَ سَعْدًا	26
الهمزة	لَوْ كَانَتْ الجَوْزَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ	26
الهمزة	أَوْفَى بِمَا تَرَكَ النَبِّي مُحَمَدٌ	38
الهمزة	أَوْلَيُّ عَهْدُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِهِ	38
الهمزة	يَهْدِي وَيهْدِي مُنْعِمًا وَمُعَلِمًا	56
الهمزة	مَا شَامَ بَرْقُ جَبِينِهِ مُسْتَرْفَدُ	60
الباء	تَسِيُر الشَّمْسُ شَيِّقَةً إِلَيْهِ	15
الباء	تَوَدُّ الْكَوَاكِبُ لَوْ أَنَّهَا	15
الباء	فَتْحٌ يُطَاوِلُ فَتْحَهُ الأَحْقَابا	26
الباء	وَاِسْتَشْعَرَ الْمُرَاقُ مِنْهُ مَخَافَةً	26
الباء	شَرَفُ الزَمَانِ بِأَنْ تَكُونَ أَبًا لَهُ	26
الباء	أَلَمْ تَرَ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ	27

الباء	فَلَا زِلْتَ يَرْجُوكَ مَنْ يَرْجَى	27
الباء	كَأَنِّ، النّاسَ مِنْ خَطَأ وَأَنْتُم	35
الباء	إِمَامٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الخَلْقِ بَاهِرٌ	38
الباء	حَقِيقٌ بِمِيرَاثِ النُبُوَّةَ وَالهُدَى	38
الباء	بَقِيتُمْ أَمِيرُ الُمؤْمِنِينُ وَسَعْدكُمْ	38
الباء	طَبْعُ الإِمَامِ مِنَ الأَسِنَّةَ لِهَذاَ مَا	41
الباء	لِمَ لَيْسَ يَغْلُبُ كُلُّ جَيْشِ قَدَّتُهُ	44
الباء	وَلَكَ الحُسَامَانِ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا	44
الباء	نُصِرْتُمْ مِنْ أَبِي حَفْصٍ أَخِيكُمْ	46
الباء	وَقَبْلَكُمْ اِصْطَفَى مُوسَى أَخَاهُ	46
الباء	مَدْحُ الإِمَامِ عِبَادَةٌ نَرْجُوا بِهَا	56
الباء	إِنَ الخِلَافَةَ لَمْ تُبْنَى أَسْرَارَهُ	58
الباء	لَوْلَاهُمُ لَغَدَا الورَى فِي حِيرَةٍ	58
الباء	بِيُمْنِكُمْ أَنْجَحَ المَطْلَبُ	58
الباء	وَأَشْرَقَتْ الأَرْضُ مِنْ نُورِكُمْ	58
الثاء	عَطْفًا عَلَيْنَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَقَدْ	62

الحاء	أَسَيِّدُنَا هِبْ لِي رِضَاكَ وَلَاقِنِي	62
الحاء	أَرَى مَدَدًا لَا يَنْقَضِينَ وَلَيْسَ لِي	62
الحاء	فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ أَنِّي لَمُنْطَوِي	62
الحاء	وَمَا قَدْرُ ذَنْبِي فِي ذُنُوبٍ غَفَرْتَهَا	62
الحاء	بِسِمَى الذِي لَا يَنْبَغِي مِثْلَ مُلْكِهِ	62
الحاء	أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي أَمْ أَنْتَظِرُ الصَفْحَا	63
الحاء	فَهَا لِدَافِي لَيْلٍ مِنَ السُّخْطِ حَائِرٌ	63
الدال	مَلِيكٌ إِذَا لَاحَ النَّهَارُ مُعَظَّمُ	20
الدال	وَمَنْ إِرْتَقَى فِي سُلَّمِ التَقْوَى رَأَى	21
الدال	الفَتْ أَزْمَتُهَا إِلَى مَنْ هَمُهُ	21
الدال	لهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ لِلْمَزْنِ جودَهَا	22
الدال	وَطَبْعٌ تَمَنى الرَافِدَانِ لَوْ أَنَّهُ	22
الدال	يَغْشَوْنَ مِنْهُ إِلَى أَنْوَارٍ ذِي فَطِنٍ	22
الدال	لَا يَفِيضُ العَدَمُ كَفًا عَن أَخِي أَدَبٍ	22
الدال	أَعْلَى الملُوكُ يَدًا وَأَمْنَعَهُمْ حِمًى	23
الدال	عَمَّى الوَرَى عَدْلًا وَجُودًا فَاعْتَدَى	23

الدال	مَا الجُودُ مِمَا كَانَ فِي طَبْعِ الحَيَا	23
الدال	بَطَشَتْ يَدَاهُ بِالأَعَادِي بَطْشَةً	27
الدال	بِعَدْلِ أَبِي يَعْقُوب يَأْمَنُ خَائِفٌ	29
الدال	لَهُدَاكُمْ كَالشَّمْسِ مَا إِنْ تَجْحَدِ	30
الدال	وَلَقَوْلُكُمْ حَقٌّ أَحَقَتْهُ النُهَى	30
الدال	وَلَكُمْ أَحَقَّ اللَّهُ كُلَّ حَقِيقَةٍ	30
الدال	قَدْ حَصْحَصَ الحَقُّ لَا رَيْبٌ وَلَا فَنَدٌ	35
الدال	فَجَاءَكَ بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ صَادِع	37
الدال	هِيَ البِيعَةُ الغَرَّاءُ جَاءَتْ يَقُودُهَا	37
الدال	هُوَ المُصْطَفَى مِنْ صَفْوَةٍ بَعْدَ صَفْوَة	37
الدال	إِنَّ الذِّي قَمْتَ تَنْصُرُ دِينَهُ	38
الدال	سَلِيلُ الإِمَامِ المُجْتَبِي وَشَبِيهُ	41
الدال	وَجَاءَ فِي سُرْعَانِ الجَيْشِ يَقْدَمُهُ	43
الدال	أُنْظُرْ إِلَى مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ كَيْفَ حَوَى	47
الدال	لَاقَى الكَلِيمُ عَلَى الشَّاطِئِ بِهِ خَضِرًا	47
الدال	لَجَّتْ ثَمُودُ وَعَادُ فِي ظِلَالِهِمْ	48

الدال	أَنْتُمْ فِي المُلْكِ العَظِيمِ وَفِي	48
الدال	قَدْ أَبْهَجَ الدِّينُ وَالدُّنْيَا مَقَامَكُمْ	48
الدال	لِلَّهِ تَشْهَدُ بِيعَةً بُويِعْتَهَا	49
الدال	فِي حَيْثُ تَرْتَدُّ العُيُونُ مَهَابَةً	50
الدال	لَا تُثْبِتُ الأَبْصَارُ فِيكَ لِمُلْتَقَى	50
الدال	وَكَأَنَّهُمْ إِنْ بَايَعُوكَ تَمَسَّحوا	50
الدال	كَأَنَّمَا وَقَفُوا بِحَيْثِ نُزُوعُهُمْ	50
الدال	لَمْ تَأْتِ بِمُشَبِّهِكَ الأَيَا	58
الدال	مَلِكٌ أَنْوَارُ بَصِيرَتِهِ	58
الدال	أَثْوَابُ الدِّينِ بِهِ جُدَدُ	58
الدال	لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ لِلْمَزْنِ جُودَهَا	60
الدال	وَطَبْعٌ تَمَنَى الرَافِدَانِ لَوْ أَنَّهُ	60
الدال	فَهُمْ عَلَى التُّرْبِ صَرِعَى مِثْلَهُ عَدَدًا	64
الدال	وَلُّوا فَلَا صَاحِبٌ عَنْ نَفْسِ صَاحِبِهِ يَغْنِي	65
الراء	أَمْ أَعْطَى الدَّهْرُ نُورًا غَيْرَ نُورِهِمَا	15
الراء	هَل زِيدَتْ الشَّمْسُ لِلْأَنْوَارِ أَنْوَارَ	15

الراء	مَا ذَاكَ إِلّا لِأَمْرٍ كُلُّهُ عَجبٌ	15
الراء	وَقَدْ وَسِعَ الأَيَّامَ جُودًا وَنَجْدَةً	24
الراء	يَمَلُّ الدَّهْرُ مِنْ بَأْسٍ وَيَأْسٍ	29
الراء	لَهُ مِنْ شِدَّةِ الأَزَمَاتِ رَوحٌ	29
الراء	عَلِمْتَ وَقَدْ شَكَرْتَ عُلَاكَ أَنَّ	30
الراء	شَاءَ إِسْعَادَنَا الإِلَهُ تَعَالَى	39
الراء	إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَمَّتْ	39
الراء	كُنْتَ فِي الغَيْبِ لِلْخِلَافَةِ أَهْلًا	40
الراء	فَإِلَيْكَ عَنْ صَنْهَاجَةَ مَا قَدَّرَهَا	47
الراء	أَبْشِرْ فَكُلُّ صَبَاحِ يَوْمٍ إِنَّمَا	51
الراء	أَخَلِيفَةُ المَهْدِّي دُمْتَ مُؤَيَّدًا	51
الراء	مُعِزٌّ الهُدَى، مُعْلِيهِ، حَامِي دَمَارِهِ	51
الراء	مُعَانٌ بِأَمْدَادِ المَلَائكِ، مَنزَّلٌ	51
الراء	أَغَاثَ بِهِ اللَّهُ البِلَادَ وَأَهْلَهَا	51
الراء	بِيَمْنِ الإِمَامِ الصَالِحِ المُصْلِحِ الرِضَا	51
الراء	فَلَا زَالَ بِالنَّصْرِ الإِلَهِي يَقْتَضِي	51

الراء	تَكَلَّمْ فَقَدْ أَصْغَى لِقَوْلِكَ الدَّهْرُ	59
الراء	أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَضَاءَ ال	63
الراء	لَكُمْ شَرْقَا البِلَادِ وَمَغْرِبَاهَا	63
الراء	يَسِيرُ إِلَيْكُمْ مِنْ نَاءٍ عَنْكُمْ	64
العين	منْ رَامَ وَصْفَكَ مُسْتوفًى فَغَفْلَتهُ	16
العين	أَضْحَتْ عُلَاكَ مَكَانَ النَّجْمِ فِي مِدْحِي	16
الفاء	فُتَّ الَمدَائِحَ، فَالبَلِيغُ مُقَصِّرٌ	16
الكاف	وَقِرْ خَلِيفَةُ الرَحْمَانِ عَيْنًا	39
اللام	يَامَنْ لَهُ رَاحَةٌ سَحَاءَ مُذْ خُلِقْتَ	22
اللام	لَمَّا اِجْتَبَاهُ لِنَصْرِ الدِّينِ أَيَّدَهُ	35
اللام	رَضِيَ الإِلَهُ عَنْ الإِمَامِ الُمصْطَفَى	37
اللام	ثَمَّ الدُعَاءُ لِمَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا	39
اللام	إِنَّ الإِمَامَ هُوَ الطَبِيبُ وَقَدْ شَفَى	41
اللام	حَمَلَ البَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ	42
اللام	بَلُجَتْ بِكُمُ حُجَجُ الكِتَابِ الُمنزَّلِ	43
اللام	أَوْدَعَ الإِحْسَانُ صَفْحَتَهُ	60

اللام	فَإِذَا مَا الجُودُ حَرَّكَهُ	61
اللام	فَعَفَوْتَ عَفْوَ القَادِرِينَ تَكَرُّمًا	61
اللام	لَكُمْ البَسِيطَةُ أَرْضَهَا وَمِيَاهَهَا	64
الميم	بَرَاهِينُ صِدْقٍ لَا تَزَالُ ولَمْ تَزَلْ	20
الميم	أَهْدَى إِلَيْكَ ثَنَاءَ العُرْبِ وَالعَجَمِ	23
الميم	سَطَا وَجَاءَ أَبُو يَعْقُوب فَاعْتَرَفَتْ	23
الميم	لِلَّهْ جَيْشٌ خَلِيفَتُهُ رَاياتهُ	35
الميم	مَشْحُونَةٌ عَزَمَاتُهُ مَعْصُومَةٌ	35
الميم	وَرَثْتُمْ عَنْ الَمَهْدِي نُورًا وَحِكْمَةً بِهَا	37
الميم	شَاءَ الإِلَهُ حِمايَةَ الإِسْلَامِ	40
الميم	بِسِمَى خَيْرِ الخَلْقِ وَالنُّورِ الذِّي	40
الميم	فَلْيُهَنِّئ الدُّنيَا وُجودَ خَلِيفَةٍ	40
الميم	وَرَثَ الخِلَافَةَ عَنْ خَلَائِفٍ كُلُّهُ	40
الميم	بُرْءُ الإِمَامِ حَيَاةُ الخَلْقِ كَلِّهِمِ	42
الميم	وَاللَّهُ يَخْتَصُ أَقْوَامًا بِرَحْمَتِهِ	44
الميم	حَاطَ الإِلَهُ لِنَصْرِ الدِّينِ مُهْجَتَهُ	44

الميم	وَرَثْتُمْ عَنْ المَهْدِيِّ نُورًا وَحِكْمَةً	58
الميم	فُؤَادُهُ بِضِيَاءِ العِلْمِ مُنْشَرِحٌ	59
الميم	العِلْمُ قِيمَتُهُ، وَالحِلْمُ شِيمَتُهُ	59
الميم	لِطَالِبِي العِلْمِ مَا شاؤُوا بِخِدْمَتِهِ	59
النون	عُذْرًا أَبا يَعْقُوبُ عُلَاكُمُ	16
النون	لَا يَبلُغُ المَنْثورُ بعْضَ مَآثِرٍ	16
النون	كَمْ مِدْحَةً لَكَ بَعْدَهَا مَدْخُورَةً	17
النون	شَدَّ الإِلَهُ بِكُمْ لِلدِّينِ أَرْكَانُ	38
النون	وَارْتَاضَ كُلُّ جَمُوحٍ فِي عِنَانِكُمْ	39
النون	عَصُوا دَعْوَةَ المَهْدِّي وَهِيَ سَفِينَةٌ	47
النون	رَغَا فَوْقَهُمْ سُقُبَ السَّمَاءِ فَأَصْبَحُوا	47
النون	وَمَا الجِنُّ مِمَنْ يَرْغَوَى عَنْ تَمَرُّدٍ	47
النون	وَلِمَادِهِي مِنْ سِحْرِ فِرْعَوْنَ مَادِهِي	48
النون	لَقَدْ أَلْبَسَ اللَّهُ الخِلَافَةَ مُهْجَةً	48
النون	مَدَائِحُهُ فِي الحَالِ عِزٌّ وَرِفْعَةٌ	56
النون	إِذَا مَا تَجَلَّى أَوْ جَرَى ذِكْرُ مَجْدِهِ	56

النون	قَدْ أَغْرَقَتْنَا ذُنُوبٌ كُلُّهَا لُجَجٌ	62
النون	وَصَادَفَتْنَا سِهامٌ كُلُّهَا غُرَضٌ	62
النون	مَنْ جَاءَ عَنْكُمْ يَسْعَى عَلَى ثِقَةٍ	62
النون	فَالثَّوْبُ يُطَهَّرُ عِنْدَ الغَسْلِ مِنْ دَرِنٍ	62
النون	عَنْ أَمْرِكُمْ يَتَصَرَّفُ الثَقَلَانِ	64
النون	وَبِمَا يَسُوءُ عَدُوَّكُمْ وَيَسُرُّكُمْ	64
الهاء	قمرٌ تَطَلَّعَ وَالهَوَاءُ سَمَاؤُهُ	17
الهاء	يرْتَاعُ مِنهُ مَسِيرَةَ وَمَقَامَهُ	17
الهاء	وَيَكَادُ يَسْتَلِبُ الخَوَاطِرَ حُسْنُهُ	17
الهاء	يَا ابْنَ الإِمَامَيْنِ اللَّذَيْنِ إِلَيْهِمَا	42
الهاء	وَأَخَا الإِمَامِ خَلِيفَةَ اللَّهِ الذِّي	42
الهاء	جَاؤُوا تُقَدِمُهَا السُعُودُ طَلَائِعًا	51

02- كشاف الأعلام البشرية

-ب-

البيذق: 36.

-ج-

الجراوي: 13، 16، 17، 22، 23، 25، 26، 38، 40، 41، 42، 44، 46، 51، 56، 57، 58، 60، 61.

-ح-

ابن حبوس: 13، 23، 63، 64.

ابن حربون: 13، 15، 19، 20، 22، 27، 29، 35، 37، 38، 39، 40، 43، 44، 49، 50، 58، 60.

ابن حريق: 17، 36، 42.

الحسداوي: 30، 31.

أبو حفص الأغماتي: 59، 60.

-ر-

أبو الربيع سليمان: 61، 62.

-ز-

ابن زيد الإشبيلي: 48، 49.

-س-

ابن سعيد: 21، 22.

-ص-

ابن صاحب الصلاة: 36، 52.

صفوان بن إدريس التجيبي: 61، 62.

-ع-

عبد المؤمن بن علي: 14، 24، 26، 31، 32.

ابن عطية (أبو جعفر): 14، 18، 24، 28، 30، 45، 56، 59، 62، 63.

ابن عطية (أبو عقيل): 36، 37.

ابن عياش (أبو الحسن): 14.

ابن عياش (أبو عبد الله): 14، 28.

-ق-

القالمي: 14، 52.

القسطلي: 64.

القلني: 61.

-م-

ابن مجبر: 15، 29، 44، 60.

ابن محشرة: 18، 45، 46.

محمد الناصر: 14، 27.

ابن المرخي: 14، 25، 26.

المستنصر: 14.
ابن مصادق: 31، 32.
أبو المطرف بن عميرة: 21، 65، 66.

-هـ-

ابن همشك: 31.

-ي-

يعقوب المنصور: 14، 26، 35، 38، 44، 46، 64.
يوسف بن عبد المؤمن: 14، 25، 56، 59.

فهرس المحتوى

الموضوع الصفحة

المقدمة: ..... (01-06)

الفصل التمهيدي:

التعالي بالسياسي والتأسيس لأخلاق الخضوع في تجربة الحكم الإسلامي..... (07-11)

الفصل الأول:

التعالي بالسياسي في صورة توشية الذات السلطانية بالسجايا الرفيعة..... (12-32)

أولا: الحسن والبهاء.....14

ثانيا: الصدق والإخلاص.....19

ثالثا: الكرم والجود.....22

رابعا: الشجاعة والإقدام 25

خامسا: العدل والإنصاف.....29

الفصل الثاني:

التعالي بالسياسي في صورة استعارة الصفات النبوية للذات السلطانية..... (33-53)

أولا: العصمة والاصطفاء.....34

ثانيا: الخلافة والإمامة.....39

ثالثا: النصر والتأييد.....43

رابعا: استدعاء زمن الأنبياء والمرسلين.....46

خامسا: إعادة إنتاج زمن النبوة المحمدية.....49

الفصل الثالث:

التعالي بالسياسي في صورة مماهاة بين الذات السلطانية والذات الإلهية..... (54-65)

أولا: الهادي الرشيد.....56

ثانيا: العليم الحكيم.....57

ثالثا: الرزاق الوهاب.....60

رابعا: الغفور الرحيم 61

خامسا: العظيم المتعال.....63

الخاتمة:.....66

الوراقية:.....70

الكشافات:.....75

فهرس المحتوى:.....88

تم بحمد الله